

سورة الأعلى فضائل، وألفاظ ومعاني وإرشادات

أ.د. ممدوح بن تركي بن محمد القحطاني

أستاذ التفسير وعلوم القرآن، جامعة شقراء، المملكة العربية السعودية

dr.mamdoh2012@gmail.com

تاريخ قبول البحث: ٢٠٢٥/٢/٢م

تاريخ تسلم البحث: ٢٠٢٥/١/١٢م

الملخص:

هذا بحث يتعلق بسورة الأعلى، وهي من أواسط سور المفصل، تكرر قراءتها على مسامع الناس في الجمع والأعياد، احتوت على معاني وإرشادات جلية، وورد في فضلها الكثير من الأحاديث والآثار، واخترت هذا الموضوع لتعلقه بكتاب الله ﷻ ولعدم وجود بحث معاصر يتناول هذه السورة على الطريقة التي سلكتها، ولرغبتي في سلوك طريق المفسرين في إفراء بعض سور القرآن بالتفسير والبيان، وذكرت فيه فضائل السورة وموضوعاتها وأصول مفرداتها ومعانيها مع إبراز علل اتصال آياتها ومناسبتها لما قبلها وما بعدها، مع التماس ما تيسر من اللطائف البلاغية والفوائد المستنبطة، وسلكت فيه المنهج التحليلي وحرصت على تحليل الألفاظ صرفياً ولغوياً، وذكر المعاني القريبة، ولم أكثر من نقل أقوال السلف لأنها مشهورة، وقد جعلت البحث في مبحثين، المبحث الأول مقدمات بين يدي السورة وفيه مطالب، والمبحث الثاني تفسير الآيات، وقد قسمتها إلى ثلاثة مقاطع، تكلمت في كل مقطع عن مناسبتها لما قبلها مع تحليل الألفاظ وتفسير الآيات وذكر فوائدها وما يستنبط منها.

الكلمات المفتاحية: الأعلى، تفسير، فضائل، ألفاظ، معاني.

Surat Al-A'la: Virtues, Words, Meanings and Guidelines

Prof. Mamdoh bin Turki bin Muhammad Al-Qahtani
Professor of Interpretation and Qur'anic Sciences at Shaqra University
Saudi Arabia

dr.mamdoh2012@gmail.com

Date of Receiving the Research: 12/1/2025 Research Acceptance Date: 2/2/2025

Abstract:

This is a research related to Surat Al-A'la, which is one of the middle Surahs of Al-Mufasssal, that is frequently recited to people on Fridays and festivals. It contains great meanings and guidance, and many hadiths and narrations have been reported about its merits. I chose this topic because it is related to the Book of Allah, because there is no contemporary research that deals with this surah in the way I have followed, and because I want to follow the path of the interpreters in isolating some Surahs of the Qur'an for interpretation and explanation. I mentioned in it the virtues of the surah, its topics, the origins of its vocabulary and meanings, while highlighting the reasons for the connection of its verses and their relevance to what precedes and follows them, and pursuing whatever rhetorical subtleties and derived benefits are possible. I followed the analytical approach and was keen to analyze the words morphologically and linguistically, and to mention the close meanings. I did not quote much of the sayings of the predecessors because they are well-known. I made the research into two chapters. The first chapter is an introduction to the surah and contains subsections. The second chapter is interpretation of the verses, which I divided into three sections, in each section I talked about its relevance to the previous one, with an analysis of the words and interpretation of the verses and mentioning their benefits and what can be inferred from them.

Keywords: Al-A'la - Interpretation - Virtues - Words – Meanings.

المقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فإن الاشتغال بعلوم القرآن من أشرف الأعمال لتعلقه بأشرف الألفاظ، وهذا الكتاب العزيز المعجز لا يحاط بمعانيه وعلومه وهداياته مهما اجتهد الإنسان وبذل طاقته في تحصيل ذلك، ولم يقصّر المفسرون والعلماء في خدمته بأنواع شتى من الأعمال، كل بحسب منهجه وقدرته، وإفراد سورته وآياته بالكلام مسلك مطروق ومهيح معروف، وهذا بحث يتعلق بسورة من أواسط سور المفصل، قصيرة الآيات، تتكرر قراءتها على مسامع الناس في الجمع والأعياد، احتوت على معاني وإرشادات جلية، وورد في فضلها الكثير من الأحاديث والآثار، ولأن التفسير هو لب لباب علوم القرآن أحببت أن أشارك في الكلام على هذه السورة بما يتيسر، وبما يقتضيه المقام، فإن الباحث لو أراد التوسع والنقل والاستنباط واستخراج المعاني لطال به الأمر وما انتهى من بغيته، والله المسؤول أن يوفق ويسدد.

أسباب اختيار الموضوع:

١. أنه موضوع متعلق بكتاب الله عز وجل.
٢. عدم وجود بحث معاصر تناول هذه السورة على الطريقة التي سلكتها.
٣. الرغبة في سلوك طريق المفسرين، وانتهاج سبيلهم في أفراد بعض السور بالتفسير.

أهداف البحث:

ذكر فضائل هذه السورة ومكانتها وموضوعاتها، وبيان أصول مفرداتها ومعانيها، وإبراز علل اتصال آياتها ومناسبتها لما قبلها وما بعدها، والتماس ما تيسر من اللطائف البلاغية والفوائد المستخرجة من الآيات.

منهج البحث:

١. سلكت المنهج التحليلي فرجعت إلى كتب التفسير المعتمدة بحسب ترتيبها الزمني، وحرصت على التنوع في المصادر، ورجعت إلى كتب التفسير المشهورة وغير مشهورة، وبعضها طبع قريباً وبعضها مخطوط.
٢. حرصت على تحليل الألفاظ صرفياً ولغوياً، وبيان معاني الصيغ الواردة.
٣. ذكرت من المعاني ما قرب ولا أستقصي في ذكر الاحتمالات.

٤. لم أكثر من النقول عن السلف، لأن أقوالهم موجودة مشهورة، وسردها والتعليق عليها والترجيح يخرج البحث عن مقصوده.
٥. وثقت الأقوال ونسبتها إلى أصحابها إذا كانت بحروفها، وكذلك عزوت المنقول إذا كان مستفاداً من قائله مع زيادة عليه وتغيير في العبارة.

الدراسات السابقة:

- بعد البحث والتنقيب لم أجد بحثاً محكماً تناول تفسير هذه السورة على نحو ما قصدت، ومن السابقين من أفرد سورة الأعلى بالتفسير، ومن ذلك:
١. تفسير سورة الأعلى منسوب إلى الفيلسوف الحسين بن عبد الله المعروف بابن سينا (ت ٤٣٨هـ)، وهو تفسير فلسفي، وفي نسبه إليه شك^(١).
٢. تفسير سبج اسم ربك الأعلى، لمحمد بن محمد النجشي الخلوتي البكالوني (ت ١٠٩٨هـ)^(٢).

خطة البحث:

- يتكون البحث من مقدمة ومبحثين وخاتمة، على هذا النحو:
- المبحث الأول: مقدمات بين يدي السورة.
- ويشتمل على ستة مطالب:
- المطلب الأول: اسم السورة.
- المطلب الثاني: ترتيب السورة، وعدد آياتها.
- المطلب الثالث: تصنيف السورة.
- المطلب الرابع: فضائل السورة.
- المطلب الخامس: سبب نزولها.
- المطلب الخامس مناسبة السورة لما قبلها.
- المطلب السادس: مقاصد السورة وموضوعاتها.

(١) وينظر هدية العارفين للبغدادي ٣٠٨/١، والتفسير الفلسفي للقرآن الكريم، الفيلسوف ابن سينا أنموذجاً، دراسة نقدية، للأستاذ الدكتور: عبد الله الخطيب، دار القلم، ط ١، ١٤٤٢هـ، وذكر ص ١٧٥ أن صدر الدين محمد بن إبراهيم الشيرازي (ت ١٠٥٠هـ) له تفسير سورة الأعلى.

(٢) محفوظ في مكتبة الدولة في برلين - ألمانيا برقم (٩٦٧).

المبحث الثاني: تفسير الآيات.

ويشتمل على ثلاثة مقاطع، تكلمت في كل مقطع عن الأمور التالية:

١. مناسبة المقطع لما قبله.

٢. تحليل الألفاظ.

٣. تفسير الآيات.

٤. أهم ما يستفاد من الآية.

ثم ختمت البحث بخاتمة موجزة تشتمل على أبرز النتائج التي توصلت إليها، وجعلت كشافاً للمراجع، ثم الفهرس، وأسأل الله التوفيق والإعانة.

المبحث الأول: مقدمات بين يدي السورة

المطلب الأول: اسم السورة:

هذه السورة من جملة السور التي ورد لها أكثر من اسم، فقد ورد لها ثلاثة أسماء:
 الاسم الأول: سورة سَبَّحَ اسم ربك الأعلى، جاءت هذه التسمية على لسان رسول الله ﷺ
 كما في حديث جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لمعاذ رضي الله عنه: ((إذا أمتَّ الناس فاقرأ بالشمس وضحاها،
 وسبح اسم ربك الأعلى، واقرأ باسم ربك، والليل إذا يغشى)) (٣)، وهذا الحديث صريح في
 تسمية هذه السورة؛ لأنه لو أراد أول الآية من هذه السورة لقال: فاقرأ بـ ﴿وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا وَالنَّهَارُ﴾
 [الشمس: ١].

وسماها بهذا الاسم جماعة من الصحابة كالبراء بن عازب رضي الله عنه في قوله: (ما جاء رسول الله
 ﷺ المدينة حتى قرأت ﴿سَبَّحَ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ في سور مثلها) (٤)، والنعمان بن بشير رضي الله عنه في
 قوله: (كان رسول الله ﷺ يقرأ في العيدين وفي الجمعة بـ ﴿سَبَّحَ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾، و﴿هَلْ أَتَاكَ
 حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾) (٥)، وجابر بن سمرة رضي الله عنه (٦)، وابن عباس وابن الزبير رضي الله عنهم (٧)، وقد
 سماها بذلك البخاري في صحيحه (٨)، وجمع من اللغويين والمفسرين كابن قتيبة (٩) وابن جرير
 الطبري في أول السورة وآخرها، وابن أبي زمنين (١٠).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢٤٩/١) برقم (٦٧٣)، وأخرجه مسلم (٣٤٠/١) برقم (٤٦٥).

(٤) أخرجه البخاري (١٨٨٦/٤)، برقم (٤٦٥٧).

(٥) أخرجه مسلم (٢/٥٩٨) برقم (٨٧٨).

(٦) أخرجه مسلم (٢٨٣/١) برقم (٤٦٠).

(٧) أخرجه ابن الضريس في فضائل القرآن ص ٣١، وينظر الدر المنثور للسيوطي ٤٧٩/٨.

(٨) صحيح البخاري ١٦٨/٦.

(٩) غريب القرآن لابن قتيبة ص ٣٧٤.

(١٠) تفسير ابن جرير ٣٠٩/٢٤، تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين ١٢٠/٥.

والاسم الثاني: سورة سَبَّحْ، وردت هذه التسمية عن عائشة رضي الله عنها (١١)، وسأها بذلك بعض المفسرين كالجشمي وأبي حفص النسفي والبيضاوي، وابن كثير وابن سعدي (١٢)، وذكرها الزمخشري (١٣).

والاسم الثالث: سورة الأعلى، وسأها جمهور المفسرين كالثعلبي والحيري والواحيدي والسمعاني والبغوي والزمخشري وابن عطية والرازي والقرطبي وأبي حيان (١٤)، وهذا الاسم هو الذي كتب في كثير من المصاحف (١٥).

وتسميتها بسورة الأعلى مأخوذة من هذا الاسم الكريم في أول السورة، ولا يوجد هذا الاسم في جميع القرآن إلا في آخر سورة الليل.

المطلب الثاني: ترتيب السورة وعدد آياتها:

ترتيبها: تعد هذه السورة الثامنة في النزول بعد سورة التكويد وقبل سورة الليل، كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما (١٦)، وكما روي عن جابر بن زيد (١٧).

(١١) أخرجه أبو داود (٢/٢٥٣) برقم (١٤١٩)، وأخرجه الترمذي (١/٤٧٨) برقم (٤٦٣) وقال: "حديث حسن غريب"، وأخرجه ابن ماجه (١/٣٧١) برقم (١١٧٣).

(١٢) غريب القرآن لليزيدي ص ٤٢٥، التهذيب للجشمي ١٠ / ٧٣٧١، في نسخة من نسخ التيسير في التفسير للنسفي ١٥ / ٣٠٥، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٨ / ٣٧٧، حاشية الشهاب على البيضاوي ٨ / ٢٤٩، تفسير السعدي ص ١٠٨٩.

(١٣) الكشف ٩ / ٥٥١

(١٤) الكشف والبيان للثعلبي ٢٩ / ٢٢٧، الكفاية في التفسير ٩ / ٣٨٢، البسيط للواحيدي ٢٣ / ٣٧٧، تفسير السمعاني ٦ / ٢٠٦، معالم التنزيل للبغوي ٤ / ٥٩٧، المحرر الوجيز لابن عطية ٨ / ٥٨٩، الكشف للزمخشري ٩ / ٥٥١، مفاتيح الغيب للرازي ٣١ / ١٢٥، الجامع في أحكام القرآن للقرطبي ٢٢ / ٢١٩، البحر المحيط لأبي حيان ٢١ / ٣١٨.

(١٥) وجدها في كثير من المصاحف المخطوطة، وينظر التحرير والتنوير لابن عاشور ٣٠ / ٢٧٢.

(١٦) فضائل القرآن لابن الضريس ص ٣٣، وفيه عمر بن هارون الثقفي وهو متروك، انظر تقريب التهذيب ص ٧٢٨.

(١٧) ينظر الإتقان في علوم القرآن ١ / ١٦٨، وفي البيان للداني ص ١٣٥ ترتيبها عند جابر بن زيد السابعة، فسقطت سورة الفاتحة بعد المدثر.

ويدل على أنها من أوائل السور قوله تعالى: ﴿سُنُّرُكَ فَلَا تَنْسَى﴾، فإن هذا الأمر كان في أوائل نزول الوحي على النبي ﷺ، وفي المطلب التالي ما يوضح هذا.

عدد آياتها: تسع عشرة آية باتفاق علماء العدد^(١٨)، قال الشاطبي: "والأعلى (يـ)ـد (طـ)ـالت"^(١٩)، فالياء بعشرة، والطاء بتسعة.

المطلب الثالث: تصنيف السورة

اختلف في كونها مكية أو مدنية على قولين:

القول الأول: أنها مكية، وهذا قول جمهور العلماء، ونقل الإجماع على ذلك الثعلبي والحيري وابن الجوزي^(٢٠)، ونسبه القرطبي إلى الجمهور^(٢١)، ورجحه السمعاني^(٢٢).

القول الثاني: أنها مدنية، وهو قول الضحاك، حكاه عنه النقاش كما ذكره ابن عطية^(٢٣).

والقول الأول هو الصحيح، والدليل على ذلك ما جاء عن البراء بن عازب ؓ أنه قال: (أول ما قدم علينا من أصحاب النبي ﷺ مصعب بن عمير وابن أم مكتوم، فجعلنا يقرئنا القرآن، ثم جاء عمار وبلال وسعد، ثم جاء عمر بن الخطاب في عشرين، ثم جاء النبي ﷺ، فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم به، حتى رأيت الولائد والصبيان يقولون: هذا رسول الله قد جاء، فما جاء حتى قرأت سبح اسم ربك الأعلى في سُوْرٍ مثْلِها)^(٢٤).

ف قوله: (فما جاء حتى قرأت سبح اسم ربك الأعلى) نص صريح في أن هذه السورة نزلت قبل الهجرة، لأن مصعباً ومن معه إنما قدما المدينة قبل النبي ﷺ.

(١٨) الثعلبي ٢٩/٢٢٧، البيان في عد آي القرآن" للداني ص ١٣٥، وينظر حسن المدد في معرفة فن العدد ص ٥١٢.

(١٩) ناظمة الزهر ص ٢٧٦.

(٢٠) الكشف والبيان ٢٩/٤٥١، الكفاية في التفسير ٩/٣٨٢، "زاد المسير في علم التفسير" لابن الجوزي ٨٦/٩، وانظر "بصائر ذوي التمييز" ١/٣٤٧.

(٢١) "الجامع لأحكام القرآن" ٢٢/٢١٩.

(٢٢) "تفسير السمعاني" ٦/٢٠٦.

(٢٣) ينظر: "المحرر الوجيز" لابن عطية ٨/٥٨٩.

(٢٤) أخرجه البخاري (٤/١٨٨٦)، برقم (٤٦٥٧).

و يشهد لكونها مكية: ما اشتملت عليه من خصائص السور المكية كقصر الآيات والاعتناء بجانب العقيدة وتنزيه الله والموعظة وإثبات حقيقة البعث بذكر الخلق وإخراج المرعى، ويكفي ما في قوله تعالى: ﴿سُقْرُوكُ فَلَا تَنْسَى﴾ [الأعلى: ٦] من الإشارة إلى بدايات الوحي وما كان النبي ﷺ يعانیه من شدة كما جاء في حديث ابن عباس ؓ أنه قال: (كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه القرآن يُحرك به لسانه يُريد أن يحفظه مخافة أن يتفككت منه، أو من شدة رغبته في حفظه فكان يلاقي من ذلك شدة فأنزل الله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ (١٦) ﴿إِنْ عَلَيْنَا جَمْعُهُ وَقُرْآنُهُ﴾ [القيامة: ١٧]، قال: جَمَعَهُ في صدرك ثم تَقْرَأُ، ﴿فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاسْتَمِعْ لَهُ وَأَنْصِتْ﴾ [القيامة: ١٨] قال فاستمع له وأنصت، ثم إن علينا أن نبينه بلسانك، أي أن تقرأه) (٢٥).

وأما ما حكي عن الضحاك فالذي دعاه إلى ذلك هو تفسير الصلاة في قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ (١٤) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى (١٥) [الأعلى: ١٤-١٥] بأنها صلاة العيد (٢٦)، وذكر الثعلبي أن هذه السورة مكية بلا خلاف، ولم يكن بمكة زكاة ولا عيد (٢٧)، لكن ليس ببعيد أن يكون الله قد أثنى على من يمثل أمره فيما يأمر به في المستقبل من صدقة الفطر وكذلك صلاة العيد (٢٨)، وعلى فرض أن هذه الآيات المقصود بها صلاة العيد وصدقة الفطر فإن ذلك لا يلزم منه أن تكون السورة مكية، لأن هذا يكون مما تضمنته هذا الآيات من المعاني وليس مما نزل في مشروعيها.

المطلب الرابع: فضائل السورة:

لهذه السورة عدة فضائل وردت في أحاديث عن النبي ﷺ، ومن هذه الأحاديث ما يدل على مداومة النبي ﷺ على قراءة هذه السورة في صلوات مخصوصة، والمداومة على قراءة السورة لا شك أنه يدل على فضلها وعظم شأنها، فمما جاء في فضلها:

(٢٥) متفق عليه، أخرجه البخاري (٦/١) برقم (٥)، وأخرجه مسلم (١/٣٣٠) برقم (٤٤٨)، من حديث ابن عباس ب.

(٢٦) سيأتي ذلك في تفسير الآية.

(٢٧) الكشف والبيان ٢٩/٤٥١، "زاد المسير في علم التفسير" لابن الجوزي ٩/٩٢، وينظر الجامع للقرطبي ٢٢/٢٣٣.

(٢٨) التفسير الوسيط ٢٣/٣٩٤، وأشار إليه البغوي ٤/٦٠٠، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٢/٢٣٣.

أولاً: أن النبي ﷺ كان يقرأها في صلاة العيدين والجمعة^(٢٩): فعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: (كان رسول الله ﷺ يقرأ في العيدين وفي الجمعة بسبح اسم ربك الأعلى، وهل أتاك حديث الغاشية، قال: وإذا اجتمع العيد والجمعة في يوم واحد يقرأ بهما أيضاً في الصلاتين)^(٣٠)، وفي الباب أحاديث مرفوعة وردت عن سمرة بن جندب^(٣١)، وأنس بن مالك^(٣٢) رضي الله عنه وغيرهم، وموقوفات وردت عن عمر بن الخطاب^(٣٣) وأبي موسى الأشعري رضي الله عنه^(٣٤).

ومما يذكر في سر القراءة بها في الجمعة أن الإمام في خطبته ذكر الناس ووعظهم، والله أمر بالتذكير في قوله: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى ۙ سَيَذَكِّرُنَا مَخْتَصِرًا﴾^(٣٥)، فلعل فيه تنبيهاً للناس أنهم سوف يتذكرون إن كانوا من أهل الخشية^(٣٥).

ومما يذكر في سر قراءة رسول الله ﷺ سورة الأعلى في العيدين أن فيها تنزيها لله سبحانه وتعالى حتى لا يُظن أنه يحتاج إلى أنواع العبادة التي فرغ منها أهل العيد، وكذلك ما في السورة من الحث على أسباب الفلاح من تزكية النفس والمال، وما فيها من الأمر بالصلاة وذكر الله،

(٢٩) وورد أنه قرأها في صلاة الاستسقاء، فقد روي عن طلحة بن عبد الله بن عوف أن النبي - صلى الله عليه وسلم - صلى في الاستسقاء، كبر في الأولى سبع تكبيرات، وقرأ سحر اسم ربك الأعلى وقرأ في الثانية هل أتاك حديث الغاشية وكبر فيها خمس تكبيرات، أخرجه الدارقطني في سننه ٢/٤٢٢ (١٨٠٠) والحاكم في المستدرک ١/٤٧٣ (١٢١٧) - وصححه - والبيهقي في السنن الكبرى ٣/٤٨٥ (٦٤٠٥) وفيه محمد بن عبد العزيز الزهري، قال ابن حبان في المجروحين ٢/٢٦٣ (٩٤٧): يروي عن الثقات المعضلات، قال النووي في المجموع ٥/٧٣: ضعيف، وقال ابن رجب في فتح الباري ٩/٢٠٧: متروك الحديث لا يحتج بما يرويه.

والقراءة بها مذهب الحنفية والمالكية كما في الرسالة للقيرواني ص ٥١، ورويت عن مالك كما في المدونة ١/٢٤٤، وذكرها الشيرازي الشافعي في المهذب ١/٢٣٢، واستحسن القراءة بها ابن قدامة في المغني ٣/٣٣٧، لما ورد من أنها كصلاة العيد، وجعل الشافعي سورة الأعلى مقدار ما يقرأ في صلاة الخوف، كتاب الأم ١/٢٤٥، وينظر بحر المذهب للرويان ٢/٤٣٣.

(٣٠) أخرجه مسلم (٢/٥٩٨) برقم (٨٧٨).

(٣١) أخرجه أبو داود (٢/١١٤) برقم (١١١٥)، وأخرجه النسائي (٢/١٢٤) برقم (١٤٢١)، وأخرجه ابن ماجه (١/٤٠٨) برقم (١٢٨١)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (١١٢٥).

(٣٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٢/١٧٧)، وفيه راو مجهول.

(٣٣) أخرجه ابن أبي شيبة (٢/١٧٦)، وفيه رجل مبهم، وباقي رجاله ثقات.

(٣٤) أخرجه ابن أبي شيبة (٢/١٤٢)، ورجاله ثقات.

(٣٥) ينظر الشرح الممتع لابن عثيمين ٥/٦٩.

والحث على الإعراض عن الدنيا وزينتها، لأن يوم العيد مظنة للتهاون بهذه الأمور^(٣٦)، والجمعة عيد من الأعياد، كما جاء في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: ((قَدْ اجْتَمَعَ فِي يَوْمِكُمْ هَذَا عِيدَانِ فَمَنْ شَاءَ أَجْزَأَهُ مِنَ الْجُمُعَةِ وَإِنَّا مُجْمَعُونَ))^(٣٧).

ثانيًا: أن النبي ﷺ كان يقرأها في صلاة الوتر، فعن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: (كان رسول الله ﷺ يقرأ في الوتر بسبح اسم ربك الأعلى، وفي الثانية بقل يا أيها الكافرون، وفي الثالثة بقل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس)^(٣٨).

وفي الباب أحاديث مرفوعة وردت عن عائشة^(٣٩) وعبد الرحمن بن أبيزى^(٤٠) وعبد الله بن سرجس^(٤١) وعمران بن حصين رضي الله عنه^(٤٢).

ثالثًا: أن النبي ﷺ كان يقرأها في الصلوات المفروضة: جاء حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يقرأها في صلاة الظهر^(٤٣)، وورد أنه قرأها في صلاة العصر^(٤٤)، وكذلك المغرب^(٤٥).

(٣٦) ينظر مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور ٣/ ١٨٤

(٣٧) أخرجه أبو داود (٣٤٩/١) برقم (١٠٧٣)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وصححه الألباني في "صحيح سنن أبي داود (٩٨٤).

(٣٨) أخرجه أبو داود (٢/٢٥٢) برقم (١٤١٨)، وأخرجه النسائي (٢/٢٧٠) برقم (١٧٢٨)، وأخرجه ابن ماجه (١/٣٧٠) برقم (١١٧١)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (١١٧٢)

(٣٩) أخرجه أبو داود (٢/٢٥٣) برقم (١٤١٩)، وأخرجه الترمذي (٤٧٨/١) برقم (٤٦٣) وقال: "حديث حسن غريب"، وأخرجه ابن ماجه (١/٣٧١) برقم (١١٧٣)، وصححه ابن حبان في صحيحه (٧٤/٤) برقم (٢٤٣٩)، وصححه الحاكم (١/٣٠٥) وقال: "حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه" ووافقه الذهبي.

(٤٠) أخرجه النسائي (٢/٢٧١)، ورجاله ثقات، وصححه الألباني في صحيح النسائي (١٧٣١).

(٤١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١٨٢)، ورجاله ثقات.

(٤٢) أخرجه النسائي (٢/٢٧٤) برقم (١٧٤٢)، وصححه الألباني في صحيح النسائي (١٧٤٢).

(٤٣) أخرجه مسلم (٢٨٣/١) برقم (٤٦٠).

(٤٤) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/١٢٦) برقم (٢٦٨٧): "رواه البزار ورجاله رجال الصحيح ورواه الطبراني في الأوسط".

(٤٥) أخرجه النسائي (٩٨٤)، من حديث جابر رضي الله عنه، وصححه الألباني في صحيح النسائي (٩٨٤).

وورد أن آخر صلاة صلاها رسول الله ﷺ بالناس المغرب فقرأ في الركعة الأولى بـ ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ (٤٦)، قال ابن كثير: والظاهر أنه أراد آخر صلاة صلاتها بأهل بيتهم (٤٧).

رابعاً: أن النبي ﷺ حثَّ معاذ بن جبل ؓ على أن يقرأ بها، قال ﷺ: ((فلولا صليت بسبح اسم ربك والشمس وضحاها والليل إذا يغشى، فإنه يصلي وراءك الكبير والضعيف وذو الحاجة)) (٤٨).

خامساً: أن النبي ﷺ يحب هذه السورة: فقد جاء عن علي ؓ: أن رسول الله ﷺ كان يحب هذه السورة سبح اسم ربك الأعلى (٤٩).

سادساً: وما يدل على فضيلة هذه السورة أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ قال رسول الله ﷺ: ((اجعلوها في سجودكم)) (٥٠)، فاشتغالها على آية جعلت واجباً من واجبات الصلاة (٥١) فيه دلالة على فضيلة هذه السورة.

سابعاً: أنها معدودة من جملة السور المسبّحات: أي التي بدأت بألفاظ فيها تسبيح أو أمر به، وقد ورد عن عبد الله بن عمرو بن العاص ؓ أنه قال: ((أتى رجل رسول الله ﷺ فقال: أقرئني يا رسول الله، قال له: ((فاقرأ ثلاثاً من ذات ﴿الرَّ﴾ [هود: ١])، فقال الرجل: كبرت سني

(٤٦) أخرج البزار في مسنده ١٢٧/٦ (٢١٧٤)، والطبراني في الكبير، من حديث عبد الله بن الحارث، قال الهيثمي مجمع الزوائد ٢/٢٨٦: فيه حجاج بن نصير، ضعفه ابن المديني وجماعة، ووثقه ابن معين في رواية، ووثقه ابن حبان.

(٤٧) جامع المسانيد والسنن برقم (٦٢٤٧).

(٤٨) صحيح البخاري ١/١٤٢ برقم (٧٠٥)، وصحيح مسلم ١/٣٤٠ برقم (٤٦٥).

(٤٩) أخرجه الإمام أحمد في المسند (١٤٢/٢)، برقم (٧٤٢)، قال المحقق: "إسناده ضعيف"، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (٤٢٦٦).

(٥٠) أخرجه أبو داود (٢٩٢/١) برقم (٨٦٩)، وأخرجه ابن ماجه (٢٨٧/١) برقم (٨٨٧) عن عقبة بن عامر الجهني ؓ، وقال الحاكم في المستدرک (٥١٩/٢) برقم (٣٧٨٣): "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه"، وقال الذهبي: "الحديث صحيح"، وضعفه الألباني في "الإرواء" برقم: (٣٣٤) مع أنه حسنه قبل ذلك في تعليقه على "مشكاة المصابيح" برقم (٨٧٩).

(٥١) وهو المشهور من مذهب الحنابلة، ينظر "دقائق أولي النهى" ١/٢١٨، "كشف القناع" ٢/٤٥٥، وقول عند الحنفية، ينظر رد المحتار لابن عابدين ١/٤٩٤.

واشتد قلبي وغلظ لساني، قال: ((فاقرأ ثلاثاً من ذات ﴿حَمِّ﴾ [غافر: ١]، فقال مثل مقالته الأولى، فقال: ((اقرأ ثلاثاً من المسبحات...)) الحديث (٥٢)، وورد أن النبي ﷺ سماها أفضل المسبحات (٥٣).

ثامناً: أنها معدودة من سور المفصل: والمفصل فضل الله به نبيه محمداً ﷺ على سائر الأنبياء والمرسلين كما في حديث واثلة بن الأسقع رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((فُضِّلْتُ بالمفصل)) (٥٤). وذكر بعض المفسرين أحاديث موضوعة في فضائل هذه السورة ضربت عن ذكرها صفحاً.

المطلب الخامس: سبب نزولها:

بعد مراجعة الكتب التي نقلت أسباب نزول السور لم أجد حديثاً صحيحاً يمكن أن يعتمد عليه في سبب نزول هذه السورة، ولكنني وقفت على أحاديث كثيرة ضعيفة وموضوعة ولا أصل لها، وهذه الأحاديث ورد ذكرها في بعض كتب أسباب النزول كلباب القول للسيوطي، وتفسير الزمخشري والقرطبي والبيضاوي وغيرها من التفاسير.

المطلب السادس: المناسبات في السورة:

تظهر مناسبة هذه السورة لما قبلها - وهي سورة الطارق - من عدة أوجه، منها: أن الله لما ذكر الخلق في قوله: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾ [الطارق: ٥] كأن قائلاً قال: من خلقه على هذا المثل؟

فقال: ﴿سَجَّ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ (٥٥).

(٥٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند (١٣٩/١١)، وأخرجه أبو داود سننه (٥٧/٢)، برقم (١٣٩٩)، وقال الحاكم في المستدرک (٥٨٠/٢): "حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه" قال الذهبي: "بل صحيح" وقال محقق المسند: "إسناده حسن".

(٥٣) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن ص ٢٩٥ وهو مرسل.

(٥٤) أخرجه الإمام أحمد في المسند (١٨٨/٢٨)، وقال محققه شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن، وصححه بمجموع طرقه الشيخ الألباني في "سلسلة الأحاديث الصحيحة (٣/٤٦٩) برقم (١٤٨٠).

(٥٥) "البحر المحيط" لأبي حيان ٣١٨/٢١

ولما أقسم بالأرض التي يخرج منها النبات فقال: ﴿وَالْأَرْضَ ذَاتِ الصَّعْصَعِ﴾ [الطارق: ١٢] أتبع ذلك بذكر امتنانه بإخراج المرعى في قوله: ﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى﴾ [الأعلى: ٤] (٥٦).
ولما قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ﴾ [الطارق: ١٣] قال: ﴿سُقْرُوكُ﴾ [الأعلى: ٦] أي: سنقروك ذلك القول الفصل (٥٧).

وفي كلا السورتين ذكر النشأة والإعادة، وفيها جزاء أهل الشقاوة وأهل السعادة (٥٨).
ولما ختم الله سورة الطارق بوعيد الكفار ذكر في هذه السورة صفاته العلى وقدرته على ما يشاء (٥٩).

والمناسبة بين خاتمة سورة الطارق وفاتحة سورة الأعلى ظاهرة، وهي أن الله لما ذكر ضلال الكفار وكيدهم الذي هو أقبح فعل من الأفعال التي تدل على جهلهم بعظيم أمر الخالق - عز وجل - أتبع ذلك بالأمر بتنزيه الرب الأعلى عن شنيع افتراءهم فقال: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾، ففي خاتمة الطارق وعيد لمن وصف الله بما لا يليق، وفي فاتحة هذه السورة وصف الله بما يليق (٦٠)، ثم أتبع ذلك بذكر عظيم قدرته وحكمته فقال: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوْفَىٰ ۖ وَالَّذِي مَدَّ رَهْطَهُ أَيُّهَا الْأَعْلَى: ٢-٣﴾ وهذا مما يبين ضلالهم (٦١).

ومناسبتها لسورة الغاشية بعدها أن الله عز وجل لما ذكر في سورة الأعلى ذم إيشار الحياة الدنيا وأن الآخرة خير وأبقى ابتداء سورة الغاشية بذكر الآخرة وجزاء من أثر الحياة الدنيا بقوله: ﴿وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ خَشِيعَةٌ﴾ (٢) ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾ (٣) ﴿تَصَلَّىٰ نَارًا حَامِيَةً﴾ [الغاشية: ٤]، ثم ذكر ما هو خير وأبقى في قوله: ﴿وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾ (٨) ﴿لَسَعِيهَا رَاضِيَةٌ﴾ (٩) ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ [الغاشية: ١٠] (٦٢)، وفي كلا السورتين أمر بالتذكير، فقد تكرر قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ﴾.

(٥٦) "تناسق الدرر في تناسب السور" للسيوطي ص ١٤٩

(٥٧) ينظر "البحر المحيط" لأبي حيان ٣١٨/٢١

(٥٨) ينظر التيسير في التفسير للنسفي ٣٠٥/١٥

(٥٩) التهذيب للجشمي ٧٣٧٢/١٠

(٦٠) التيسير في التفسير للنسفي ٣٠٥/١٥

(٦١) ينظر: "البرهان في تناسب سور القرآن" لأبي جعفر الزبيري ص ٢٠٦

(٦٢) التهذيب للجشمي ٧٣٨٣/١٠، التناسب بين السور في المفتاح والخواتيم ص ١٧٦.

وأما المناسبة بين مطلع السورة وخاتمها فهي ظاهرة، فقد بدأت بالأمر بالتسبيح ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ وفي خاتمها تأكيد بأن ما يدعو إلى تسبيح الله عز وجل من صفاته وأفعاله ومخلوقاته من ركائز العقيدة المذكورة في صحف الأنبياء السابقين (٦٣).

وكذلك بدأت السورة بالتسبيح والتنزيه، وفي آخر السور حث على التطهر من الدنس، وذلك في الأمر بالتزكي في قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾، والتزكي في معنى التنزه، وكأن في ذلك إشارة إلى التخلق بها على ما يليق به حسب الاستطاعة (٦٤)، فإن من ثمرات الإيمان بصفات الله تعالى أن العبد يجتهد في السعي إلى الاتصاف بها، فالمحسوب يجب أن يتحلّى المحب بصفاته، فالله عز وجل رحيم يحب الرحماء ورفيق يحب الرفق وكريم يحب الكرم والكرماء، بل إن موافقته عز وجل في صفة من صفاته تقود تلك الصفة إليه جل وعلا (٦٥).

المطلب السادس: موضوعات السورة:

تتحدث هذه السورة باختصار عن هذه الموضوعات:

١. تنزيه الله سبحانه وتعالى عن أن يلحق عظمته شيء من شوائب النقص، كاستعجال أمر إهلاك الكافرين أو غيره، أو العجز عن البعث أو إهمال الناس سدى حتى يبغى بعضهم على بعض بغير حساب، أو أن يتكلم بما لا يطابق الواقع، أو بما يقدر أحد أن يتكلم بمثله (٦٦).
٢. الإشارة إلى وحدانيته لانفراده بالخلق وتسوية المخلوق وغير ذلك من معاني ربوبيته كإخراج النبات ثم إماتته، وما في ذلك من الدلالة على البعث.
٣. التنبيه على يسر أحكام هذه الشريعة.
٤. الأمر بالدعوة والتذكير، والوعيد لمن أعرض عن الذكر.

(٦٣) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم ١٠٩/٩

(٦٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١٢٨/٢.

(٦٥) ينظر الجواب الكافي لابن القيم ص ٦٧، طريق المهجرتين ١٢٩، صفات الله عز وجل للسقاف ص ٣٠

(٦٦) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور للبقاعي ١٨٠-١٨١/٣

٥. تأييد النبي ﷺ وتبتيته على تلقي الوحي وتبليغه وأن هذا القرآن يصدقه ما في الكتب السابقة.
٦. ذكر أحوال المدعويين وهم أهل الخشية والسعادة، وأهل الشقاء.
٧. ذكر صفات المفلحين.
٨. الحث على التزكي والتطهر والأعمال الصالحة.
٩. أن هذا الكتاب الذي أنزله الله على نبيه فيه تذكرة لأهل النفوس الزكية.
١٠. التحذير من الاغترار بالدنيا وآثارها على الآخرة (٦٧).

المبحث الثاني: تفسير الآيات

قال الله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

قد أكثر المفسرون من الكلام على البسملة وإعرابها وتفسيرها وتوسعوا في ذلك، بل إن الكلام عليها وما ورد في فضلها أصبح عادة متبعة في كتب الشروح والخواشي في جميع الفنون؛ لأن البداية بالبسملة تعد سنة من سنن المؤلفين في رسائلهم وكتاباتهم، وقد جاء في فضل البسملة أحاديث كثيرة مشهورة لا تخلو من مقال، فالحديث عنها ليس هذا محله.

المقطع الأول: التعريف بالله تعالى وتنزيهه

قال الله تعالى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى (١) الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى (٢) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى (٣) وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى (٤) فَجَعَلَهُ غَنَاءً أَحْوَى (٥)﴾.

﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾

﴿سَبِّحْ﴾: فِعْلٌ أمر ثلاثي، مزيد، مضعف العين، وزنه فَعَّلْ، ماضيه سَبَّحَ، ومصدره التسبيح، ولم يرد هذا المصدر في القرآن، وأصل مادة هذا اللفظ (س ب ح) إما من الجري، ومنه سبح في الماء أي جرى، فالمسبِّح يجري في تنزيه الله عز وجل (٦٨)، وقريب منه معنى المَرَّ

(٦٧) ينظر "التحرير والتنوير" للطاهر ابن عاشور ٣٠/ ٢٧٢، التفسير المنير ١٥/ ٥٦٣، إيجاز البيان في سور القرآن ص ٢٩٣، عون الرحمن في تفسير القرآن ٢٤/ ٢٠٢، بتصرف وإضافة أغراض أخرى.

(٦٨) ينظر البحر المحيط ١/ ٣٧٦

السريع^(٦٩)، يقال: سبح سبْحاً أي مرَّ مرَّاً سريعاً، فسبحان الله بمعنى الخفة في طاعة الله والسرعة إليه^(٧٠)، أو أنه من البُعد، يقال: سَبَحَ في الماء أي بُعد، فالمسبح يُعَدُّ عن الله ما لا يليق به مما ينسب إليه من أقوال وأفعال وأوصاف^(٧١).

وصيغة فَعَّلَ لها معانٍ كثيرة، أوصلها بعضهم إلى سبعة عشر- معنًى^(٧٢)، والغالب أنها للتكثير^(٧٣)، وهو المعنى الأقرب هنا، والتكثير فيه من جهة المفعول به، لأنه أمر بأن يكثُر من تسبيح اسم الله، فيكون المعنى أكثر من تنزيه اسم الله، وأما الفعل المجرد سَبَحَ فمصدره السُّبْحَان، سَبَحَ سبحاناً، وقد قيل: إن فعله المجرد سَبَحَ فَعْلٌ قد أُميت^(٧٤)، ولكن هذا معارض بما ذكره غيرهم من أن سَبَحَ لغة^(٧٥)، وهذا يدل على أن فَعْلَ هنا للتكثير.

والمراد بالتسبيح هنا: تنزيه الله عن النقائص، أي النطق بتنزيهه في خاصة النفس وبين الناس بذكر ما يليق بجلاله من اعتقاد أو عمل^(٧٦).

﴿أَسْمَ﴾: اسمٌ على وزنِ إِفْع، والأقرب أن أصله سِمُوْ، معتل الآخر على وزن فِعْلٍ، حذفت لामه ثم عوضت الهمزة عنها وأُسكنت السين^(٧٧): سَمٌ^(٧٨)، فاجتلبت همزة الوصل لوجود السكون أوله، والكلام على اشتقاق الاسم كثير في المصنفات والشرح، لأنه من ألفاظ البسمة، والسُمُو: الرفة، لأن به يُرفع ذكر المسمَّى فيعرف به.

﴿رَبِّكَ﴾: الرب اسم مضاف إلى ضمير المخاطب، وهو في الأصل مصدر على وزن فَعْلٍ، رَبَّ يَرْبُّ رَبًّا، ثم استعمل صفة لله عز وجل، ويطلق الرب على المصلح والسيّد، وإذا كان

(٦٩) المفردات للراغب ص ٣٧٢

(٧٠) ينظر لسان العرب (س ب ح).

(٧١) ينظر عمدة الحفاظ ٢/ ١٦٦

(٧٢) ينظر ارتشاف الضرب ١/ ١٧٤، وذكر في البحر المحيط ١/ ١٥٢ أربعة عشر معنى.

(٧٣) ينظر المستقصى في التصريف ١/ ٣٢٠.

(٧٤) ينظر المخصص لابن سيده ٥/ ٢٣٣، وشرح المفصل لابن يعيش ١/ ١١٩

(٧٥) ينظر المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده (س ب ح).

(٧٦) ينظر التحرير والتنوير ٣٠/ ٢٧٣

(٧٧) أو نقل السكون في الميم إلى السين قبلها، ينظر شرح الأشموني على الألفية ٤/ ٧٥.

(٧٨) حاشية الصبان ١/ ١٢٨

وصفاً فهو على وزن فَعَلَ مثل جَلَدٍ وَضَحَمَ، أو أن فيه حذفاً وأنه في الأصل رابٌّ، وهو اسم فاعل، ثم حذفت الألف، مثل: بَرَّ أصلها بَارٌّ.

وكل المواقع التي ذكر فيه الرب تناسب المقام^(٧٩)، وكونه يذكر الرب هنا ولا يذكر لفظ الجلالة الله مناسب لهذه الحال، فالمقام مقام ثناء على الرب الذي أنعم على جميع الخلق نعمًا لا يمكن حصرها ولا عدها، والخلق والإنعام من أفعال الربوبية، وفي إضافة الرب إلى الضمير المراد به الرسول ﷺ تشریف له^(٨٠).

وقوله: ﴿الْأَعْلَى﴾: على وزن الْأَفْعَل، من العلو، وصيغته صيغة تفضيل تفيد اتصافه بجميع معاني العلو، لأنه مطلق فلم يقل الأعلى من كذا، فكل ما يخطر في البال أو يعبر عنه بالمقال فالله سبحانه أعلى منه^(٨١).

وهو - سبحانه - موصوف بالعلو المطلق، علو الذات وعلو القدر وعلو القهر، والأعلى هنا وصف للرب عز وجل، وقيل: هو وصف للاسم، فإن كان وصفاً للاسم فهو منصوب، وإن كان وصفاً للرب فهو مجرور^(٨٢).

ولا مانع من القول بهما، ولكن إذا كان وصفاً للاسم لم يصح أن يعرب اسم الموصول الذي بعده وهو ﴿الَّذِي خَلَقَ﴾ صفة للرب، حتى لا تحول صفة الاسم بين الموصوف وهو الرب وبين الصفة وهي ﴿الَّذِي﴾^(٨٣).

فاسم الله أعلى ووصفه أعلى من كل الأوصاف، ولكن مما يرجح أنه وصف للأعلى ما جاء بعد ذلك من الآيات التي تصف الله بجملة من الصفات الكريمة - كالخلق والتقدير والهداية وإخراج المرعى - ولا يمكن أن نقول إنها أوصاف لـ ﴿أَسْمَ﴾.

وقد ابتدأت هذه السورة بتتزيه الله جل وعلا وذكر صفاته العليا، فذكرت أولاً صفة الربوبية ثم صفة العلو بكل ما تشمله من معانيها، ثم أتبع ذلك ببيان جملة من أفعاله التي

(٧٩) عمدة الحفاظ ٢/ ٦٠

(٨٠) ينظر التحرير والتنوير ٣٠/ ٢٧٤

(٨١) كشف الأسرار للصفدي ٤/ ٥٤٥

(٨٢) التهذيب للحاكم ١٠/ ٧٣٧٤

(٨٣) ينظر البحر المحيط ٢١/ ٣١٩

تعرف به وتدل عليه، فذكر فيها الخلق وتسوية الخلق والتقدير والهداية، وإخراج المرعى وتغيره من حال إلى حال.

وهذا كله تعريف بالله تعالى، ودعوة إلى عبادته، وهو أعظم مقصد من مقاصد الكتاب العزيز، فلا يوجد سورة في القرآن إلا فيها ما يدل على الخالق سبحانه وتعالى ويدعو إلى عبادته. وإذا تأمل المتأمل القرآن الكريم من أوله إلى آخره وجد أن المقصود الأعظم من مقاصد القرآن هو تعريف الناس بخالقهم ومعبودهم، لأن عبادة الله متوقفة على معرفته، وخير ما يوصل المرء إلى معرفة ربه ما ذكره الرب عز وجل عن نفسه من وصف من أوصافه، أو فعل من أفعاله أو اسم من أسمائه، أو حكم من أحكامه.

ولذلك نجد - في كثير من المواضع في القرآن - أنه بعد وصف القرآن وتعظيم شأنه يأتي ذكر أوصاف الله - سبحانه وتعالى - وذكر أفعاله، فلما أخبر الله أن القرآن الكريم لو أنزل على جبل لرأيناه خاشعاً متصدعاً من خشية الله، أتبع ذلك بالحديث عن جبل من أوصاف الله وأسمائه الحسنى، والتحذير من الشرك وتنزيه الله عنه، قال الله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ خَشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١]، ثم قال بعد ذلك: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ السُّكُوتُ وَالشَّهَادَةُ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [الحشر: ٢٢] كأن في الكلام إشارة إلى أن القرآن هو الطريق الأمثل لمعرفة الله، وهو المصدر الأساسي للتعرف على صفات الله العليا وأسمائه الحسنى، وهي من أعظم المطالب، لأنهم إن عرفوا الله وعرفوا كماله وجلاله آمنوا به وصدقوا رسوله واتبعوه، وعبدوا الله حق عبادته، وبذلك تحصل لهم السعادة في الدنيا والسعادة الأبدية في الآخرة والأمن التام يوم القيامة، وفي هذا المقطع من سورة الأعلى يظهر هذا الأمر جلياً واضحاً.

وأثر الوصف بالأعلى في هذه السورة، لأنه كالتعليل للأمر بالتسبيح فهو يستحق التنزيه لكونه عالياً على كل شيء^(٨٤)، ولأن فيه تنويهاً بالقرآن لعلو شأنه، فهو كلام الله العلي^(٨٥).

(٨٤) ينظر مفاتيح الغيب ٣١/ ١٣٩.

(٨٥) ينظر "التحرير والتنوير" للطاهر بن عاشور ٣٠/ ٢٧٥.

والمقصود بعلو الذات أن الله تبارك وتعالى فوق سماوته على عرشه، وهذا ثابت بالكتاب والسنة، وأقوال الصحابة والتابعين، وثابت بالفطرة والعقل^(٨٦)، والأدلة على هذا كثيرة متواترة متنوعة، منها قوله تعالى: ﴿أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخِفَّ بِكُمْ الْأَرْضُ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ [الملك: ١٦]، وقوله ﷺ: ((ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء؟))^(٨٧)، وكل ما يدل على استوائه على عرشه ورفع الأشياء إليه وصعودها وعروجها، وتنزل الملائكة والأمر والكتب منه تبارك وتعالى فهو دليل على العلو، إلى غير ذلك من الدلائل^(٨٨).

وعلو القدر هو الاعتقاد بأن الله منزّه عن جميع النقائص والعيوب المنافية لألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، ويدل على هذا جميع الآيات التي فيها وصف الله بالكمال والجلال، كقوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]، وقوله: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ويدل على هذا العلو أيضاً جميع الآيات التي فيها تسييح الله وتنزيهه عن الصاحبة والولد وعن جميع النقائص، كقوله تعالى: ﴿سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ [١١] عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَلَّى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿ [المؤمنون: ٩٢]، وقوله في هذه السورة: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ وغيرها من الآيات.

وعلو القهر هو أن الله لا مغالب له ولا منازع بل كل شيء تحت سلطانه وقهره كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٨]، وقال: ﴿سُبْحَنَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الزمر: ٤]^(٨٩).

والتسييح بمعناه العام يتضمن ذكر الله والخضوع والاستكانة له، أي أنه مجمل التبعيد كما في قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ [الصفات: ١٤٣] أي الذاكرين الله المتعبدين، وفسرها

(٨٦) ينظر كتاب العلو للعلي الغفاري للذهبي ١/ ٢٤٧، ومعارج القبول للحكمي ١/ ١٤٧.

(٨٧) أخرجه البخاري (٤/ ١٥٨١) برقم (٤٠٩٤)، وأخرجه مسلم (٢/ ٧٤١) برقم (١٠٦٤) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ.

(٨٨) ينظر إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم ٢/ ٢١٥، واجتماع الجيوش الإسلامية له ٢/ ١٤٤، معارج القبول للحكمي ١/ ١٤٧ وما بعدها.

(٨٩) ينظر في تفصيل الكلام على مسألة العلو "معارج القبول" لحافظ الحكمي ١/ ١٧٧ - ٢٦٧.

بعضهم بالصلاة^(٩٠)، والصلاة هي عبادة تشتمل على الذكر والتسبيح والتهليل والتكبير والسجود والركوع وغير ذلك.

وهذا الأمر بالتسبيح في هذه السورة واقع على اسم الله فينزه الاسم عن أن يسمى به معبود غير الله كصنم أو وثن أو كل ما عبد من دون الله من ملك أو نبي أو صالح، فلا يقال لهؤلاء إله أو معبود، وإذا كان الله أمر بتنزيه الاسم فتنزيه الذات من باب أولى^(٩١)، ولا بد من استحضار معاني ألفاظ التنزيه عند النطق بألفاظ التسبيح، لأن المعنى هو المقصود من الكلام^(٩٢).

وتفيد إضافة اسم الله إلى الرب العموم^(٩٣)، فيكون المراد جميع أسماء الله تعالى التي وردت في الكتاب والسنة.

وقيل: كلمة ﴿أَسْمَ﴾ هنا مقحمة^(٩٤)، والأصل: سبَّح رَبَّكَ أي اذكره بالقلب واللسان، فالذكر في حقيقته محله في القلب، ويدل على ذلك أن ضده النسيان، والتسبيح من أنواع الذكر، فلو قال: {سبَّح ربك} لفهم منه الذكر بالقلب، فلما أمر بتسبيح اسم الله دل ذلك على أنه أمر بالتسبيح بالقلب واللسان، فيكون المعنى سبَّح حال كونك ناطقاً باسم ربك^(٩٥)، فالمقصود هنا تنزيه المسمى وهو الله عز وجل، لأنه لا يقال في الاستجابة لهذا الأمر: سبحان اسم ربي، فيقع التنزيه لله تعالى بأن ينزهه عن كل ما يليق به في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله وأحكامه^(٩٦)، وقريب من هذا أن يقال: الفرق بين تسبيح اسم الله وتسبيح الله أن الأول هو النطق بتنزيهه في خاصة النفس والنطق بتنزيهه بين الناس بذكر كل ما يليق به من العقائد والأعمال، والثاني هو التفكير في عظمة الله وتنزيهه عن كل النقائص^(٩٧).

(٩٠) ينظر الكشف والبيان ٢٩/٢٣٦، "تفسير القرآن العظيم" لابن كثير ٧/٣٩

(٩١) ينظر: "البحر المحيط" لأبي حيان ٢١/٣١٨

(٩٢) ينظر التحرير والتنوير ٣٠/٢٧٣

(٩٣) نص على أن المفرد المضاف من صيغ العموم جمع من الأصوليين، وهو قول مالك وأحمد، ينظر "شرح

الكوكب المنير" للفتوح ٣/١٦٣

(٩٤) ينظر الكشف والبيان ٢٩/٢٣٥

(٩٥) ينظر نتائج الفكر للسهلي ص ٣٤، وبدائع الفوائد لابن القيم ١/١٩

(٩٦) ينظر الكشف والبيان ٢٩/٢٣٥

(٩٧) ينظر "التحرير والتنوير" لابن عاشور ٣٠/٢٧٣

فالتسبيح هنا تنزيه الله تعالى عن النقائص^(٩٨)، وإثبات الكمال له، ويشمل عدة أمور، منها:

١. تعظيم الله وتنزيهه عما لا يليق به من كل صفات النقص^(٩٩) كالعجز والغبوب وجميع ما وصفه به الكفرة والمشركون، ويتضمن هذا إثبات صفات الكمال لله بكل ما وصف به نفسه، وهو من تنزيه الله في ذاته، وذلك بأن تعتقد أن ذاته ليست كذوات المخلوقين فهو سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] فهو (لَا شَيْءٌ مِثْلُهُ، وَلَا شَيْءٌ يُعْجِزُهُ، وَلَا إِلَهٌ غَيْرُهُ)^(١٠٠).

٢. تنزيه اسم الله أن يطلق على الأوثان كما كانت العرب تطلقه على اللات والعزى ومناة، لأن هذا من الإلحاد في أسمائه^(١٠١)، فمن تنزيه أسماء الله أن تعتقد بلوغها في الحسن كماله، وأن تدعو الله بها، وألا تلحد فيها، كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، ومن التنزيه أن تذكر اسمه بخشوع وخضوع ولا تذكره في محل لا يليق به كالحلاء أو حال قضاء الحاجة^(١٠٢)، وكذلك إكثار القسم بذكر اسمه من غير مبالاة^(١٠٣).

٣. تنزيه الله عن أن تتسبب في سبه، فيكون مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨] ^(١٠٤).

٤. تنزيه الله في أفعاله، بأن تعتقد بأنه حكيم في كل ما يفعله، لا يفعل شيئاً عبثاً، ولا يظلم أحداً، ولا يأمر بالفحشاء والمنكر، إلى غير ذلك من أفعاله، وقد روي أن النبي ﷺ كان إذا

(٩٨) ينظر "مقاييس اللغة" لابن فارس ٣/ ١٢٥

(٩٩) ينظر الطبري ٢٤/ ٣١٠، الكشف والبيان ٢٩/ ٢٣٥، تفسير السمعاني ٦/ ٢٠٦، التهذيب للجشمي ١٠/ ٧٣٧٧، الكشف ٩/ ٥٥١ التسهيل لابن جزي ٤/ ٦٦٤، فتح الباري لابن حجر ١١/ ٢٠١.

(١٠٠) ينظر مقدمة "العقيدة الطحاوية" لأبي جعفر الطحاوي.

(١٠١) ينظر الطبري ٢٤/ ٣١٠، مفاتيح الغيب ٣١/ ١٣٦، التسهيل لابن جزي ٤/ ٦٦٤

(١٠٢) ينظر الطبري ٢٤/ ٣١٠، مفاتيح الغيب ٣١/ ١٣٦، الكشف ٩/ ٥٥١، "حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي" ٨/ ٣٤٩

(١٠٣) ينظر روح البيان لإسماعيل حقي ١٠/ ٤٠٨

(١٠٤) ينظر الطبري ٢٤/ ٣١٠، مفاتيح الغيب ٣١/ ١٣٧.

قرأها قال: ((سبحان ربي الأعلى)) (١٠٥)، كذلك هو مروي عن علي (١٠٦) وأبي موسى الأشعري (١٠٧)، وابن عمر (١٠٨)، وابن الزبير (١٠٩)، وابن عباس ؓ (١١٠).
ما يستفاد من الآية:

أولاً: وجوب تسبيح الله وتنزيهه عما لا يليق به (١١١)، ومشروعية التسبيح المطلق لله تعالى، وهذا يشمل جميع أنواع التسبيح السابق ذكرها، ومن التسبيح ما يكون في ركوع الصلاة وسجودها، وقد اختلف العلماء في حكمه على قولين:

القول الأول: أنه واجب، وذهب إلى ذلك الإمام أحمد في المشهور عنه وإسحاق، فإن ترك التسبيح عمداً بطلت صلاته، وإن تركه ناسياً لم تبطل ويسجد للسجود (١١٢)، وهو قول عند الحنفية (١١٣).

القول الثاني: أنه مستحب وليس بواجب، فإذا تركه المصلي عمداً لم يأنثم ولم تبطل صلاته، لكن يكره له ذلك عمداً، وهي رواية عن أحمد (١١٤)، وهو قول جمهور الفقهاء من الحنفية والمالكية والشافعية (١١٥).

(١٠٥) أخرجه أحمد في مسنده ٤٩٥/٣، (٢٠٦٦)، وأبو داود في سننه ١٦٠/٢ (٨٨٣)، ورجاله ثقات، ولكن اختلف في رفعه ووقفه.

(١٠٦) أخرجه عبد الرزاق (٤٠٩٦)، والطبري ٣١٠/٢٤.

(١٠٧) أخرجه عبد الرزاق (٤٠٩٧)، والطبري ٣١٠/٢٤.

(١٠٨) أخرجه الآجري في الشريعة ١٠٩٧/٣، (٦٨٢)، والطبري ٣١٠/٢٤.

(١٠٩) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ٣٩١/٢، (٣٣٨).

(١١٠) أخرجه عبد الرزاق (٤٠٩٨)، والطبري ٣١٠/٢٤.

(١١١) ينظر التهذيب للجشمي ٧٣٧٧/١٠.

(١١٢) ينظر دفتاق أولي النهي شرح المنتهى ٢١٨/١، كشاف القناع عن متن الإقناع ٤٥٥/٢، مطالب أولي النهي شرح غاية المنتهى ٥٠٢/١.

(١١٣) ينظر رد المحتار لابن عابدين ٤٩٤/١، ورجحه من حيث الدليل.

(١١٤) ينظر الإنصاف للمرداوي ٦٧٠/٣.

(١١٥) ينظر رد المحتار على الدر المختار ٤٧٦/١، الشرح الصغير للدردير ١١٩/١، حاشية الشبرايملي على تحفة المحتاج ٤٩٩/١، شرح النووي على صحيح مسلم ١٩٧/٤.

ودليل الاستحباب حديث المسيء في صلاته^(١١٦)، ووجه الدلالة منه أن النبي ﷺ لم يذكر له التسبيح في الركوع والسجود^(١١٧).

والقول الأول هو الأقرب؛ لأن النبي ﷺ أمر به، كما في حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٧٤]، قال رسول الله ﷺ: ((اجعلوها في ركوعكم))، ولما نزل قوله تعالى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ قال ﷺ: ((اجعلوها في سجودكم))^(١١٨)، والأمر عند الإطلاق ينصرف إلى الوجوب، ولقوله ﷺ: ((صلوا كما رأيتموني أصلي))^(١١٩)، والنبي ﷺ كان يسبح في ركوعه وسجوده، وهو أولى من يمثل الحديث الذي فيه الأمر بالتسبيح، كما نص على ذلك أهل الأصول^(١٢٠).

وأما حديث المسيء في صلاته فالنبي ﷺ لم يعلمه جميع الواجبات، كالشهد والسلام، ويقال فيه: إنه اقتصر على أن يعلمه ما رآه قد أساء فيه، والتساوي في الوجوب لا يلزم منه التساوي في الأحكام^(١٢١)، ولعل من الحكمة في اختصاص العظيم بالركوع والأعلى بالسجود أن الأعلى أفعل تفضيل والسجود في غاية التواضع لما فيه من وضع الجبهة التي هي أشرف الأعضاء على مواطئ الأقدام ولهذا كان أفضل من الركوع فجعل الأبلغ مع الأبلغ^(١٢٢)، وقيل: لأن الأعلى أبلغ من العظيم، والسجود أفضل من الركوع، فجعل الأبلغ في التواضع للأفضل^(١٢٣).

(١١٦) أخرجه البخاري (٢٦٣/١) برقم (٧٢٤)، ومسلم (٢٩٨/١) برقم (٣٩٧)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(١١٧) ينظر في هذه المسألة: المغني لابن قدامة ١/٥٧٨، الموسوعة الفقهية ٢٤/٢١٠.
(١١٨) أخرجه أبو داود (٢٩٢/١) برقم (٨٦٩)، وأخرجه ابن ماجه (٢٨٧/١) برقم (٨٨٧)، وقال الحاكم في المستدرک (٥١٩/٢) برقم (٣٧٨٣): "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه"، وقال الذهبي: "الحديث صحيح"، وضعفه الألباني في "الإرواء" برقم: (٣٣٤) مع أنه حسنه قبل ذلك في تعليقه على "مشكاة المصابيح" برقم (٨٧٩).

(١١٩) أخرجه البخاري (٢٣٣١/٥) برقم (٥٩٧٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(١٢٠) ينظر شرح الكوكب المنير لابن النجار ٣/٢٢٣.

(١٢١) ينظر المغني لابن قدامة ١/٥٧٨، رد المحتار ١/٤٩٤.

(١٢٢) ينظر الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع للشرييني ١/١٤٤.

(١٢٣) ينظر نهاية المحتاج ١/٤٩٩.

وتثليث التسبيح مسنون عند جمهور العلماء، وتستحب الزيادة على الثلاث بعد أن يحتم على وتر، خمس، أو سبع، أو تسع عند الحنفية والحنابلة (١٢٤)، أو إحدى عشرة عند الشافعية، هذا إذا كان منفردًا، وأما الإمام فلا يستحب له أن يطول على وجه يكمل منه المصلون، وعند الشافعية يكره للإمام الزيادة على الثلاث (١٢٥).

أما المالكية فيستحب عندهم التسبيح في الركوع والسجود بأي لفظ كان، ولم يحدوا فيه حدًا، ولا دعاء مخصوصًا (١٢٦).

ثانيًا: أن الله تعالى له صفات الكمال ونعوت الجلال، فيجب أن يوصف بها وصف به نفسه في كتابه وبما وصفه به رسوله ﷺ، من غير تحريف ولا تعطيل وغير تكييف ولا تمثيل.

ثالثًا: أن الله تعالى له العلو المطلق، علو الذات والقدر والقهر.

رابعًا: استدل بعضهم بهذه الآية على ذكر الله في الصلاة، بمعنى أن يكون المراد بالتسبيح الصلاة، فيكون المعنى صلّ وأنت ذاكر لله عز وجل حاضر القلب (١٢٧).

﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى﴾

﴿الَّذِي﴾: اسم موصول، وهو وصلة إلى وصف المعارف بالجملة (١٢٨).

﴿خَلَقَ﴾: فعل ماض مجرد متعدّد، وهو من باب نصر، خلق يخلق خلقًا، وأصله الإيجاد على ترتيب وتقدير، ويطلق على الاختراع بلا مثال، وإذا كان بهذا المعنى فهو يختص بالله عز وجل، وأما إذا كان بمعنى إيجاد شيء من شيء فقد يقدر عليه بعض الخلق، قال تعالى عن عيسى: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي﴾ [المائدة: ١١٠]، وفي الإنسان يطلق الخلق على معنى التقدير،

(١٢٤) ينظر رد المحتار ١/ ٤٩٤

(١٢٥) ينظر نهاية المحتاج ١/ ٤٩٩

(١٢٦) ينظر في هذه المسألة: المبسوط للرخسي ١/ ٢١، ونهاية المحتاج للرملي ١/ ٤٩٩، ٥١٥، والمغني لابن قدامة ١/ ٥٠١، ٥٢١، والموسوعة الفقهية ١٠/ ١٤٧

(١٢٧) ينظر الطبري ٢٤/ ٣١١

(١٢٨) دلائل الإعجاز ١/ ١٩٩

خلقتُ الأديمَ أي قدرته، ويطلق بمعنى اختلاق الكذب، قال تعالى: ﴿وَتَخْلُقُونَ أَفْكَاءَ﴾ [العنكبوت: ١٧] (١٢٩).

﴿فَسَوَّى﴾: فعل ماض مضعّف مقصور على وزن فعّل، أصل ألفه ياء قلبت لتحركها وانفتاح ما قبلها، ومصدره التسوية، ومعناها تعديل الخلق وتقويمه وتحسينه (١٣٠)، وجعله سواءً، في الرفعة أو في الصفة (١٣١).

أتبع الله وصف الربّ الأعلى المطلوبِ تسييحه بعدة صفات، وهذه الصفات أدلّة من أدلة وجوده سبحانه ووحدانيته، وهذا مناسب بعد الأمر بالتسبيح، فإن الاشتغال بالتسبيح إنما يكون بعد معرفة الرب (١٣٢)، فبدأ الله وصف نفسه بأنه ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى﴾ أي: الذي خلق كل شيء فسواه في أحسن الهيئات وجعله متناسب الأجزاء غير متفاوت، وهذا عام في جميع المخلوقات (١٣٣) لأنه حذف المفعول فلم يقيد به شيء (١٣٤)، فأفاد العموم، وكذلك أفاد حذفه الاختصار، وأيضاً مراعاة الفاصلة.

وخلق الله محكم متقن كما قال تعالى بعد خلق السموات: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوتٍ﴾ [المك: ٣] أي ما ترى فيها من تباین وعدم تناسب، وقال تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤]، وقال في خلق الإنسان: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤].

وجاء بالاسم الموصول في قوله: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى﴾ وفي الآيات التالية للإشارة إلى أن المقصود هنا التعريف بالله تعالى، وذلك بذكر أفعاله جل وعلا، وبدأ بالخلق لأنه أعظم صفات الربوبية التي تدل على الألوهية، وكذلك لأن المشركين الذين بعث إليهم النبي ﷺ مقرّون بأنه

(١٢٩) ينظر المفردات للراغب ص ٢٩٦، البحر المحيط لأبي حيان ٢٦٠/١، عمدة الحفاظ للسمين الحلبي ٥٢٦/١

(١٣٠) ينظر الكشف والبيان ٢٣٧/٢٩، التفسير البسيط ٣٧٩/٢٣، البحر المحيط ٣٦٧/١

(١٣١) ينظر المفردات للراغب ص ٢٩٦

(١٣٢) ينظر "السراج المنير" للخطيب الشربيني ٣٨٠/٤

(١٣٣) ينظر التفسير البسيط ٣٧٩/٢٣، كشف الأسرار ٥٤٥/٤

(١٣٤) ينظر التسهيل لابن جزي ٦٦٧/٤، عناية القاضي ٣٤٩/٨

الخالق الرازق (١٣٥)، فذكره هذه الصفة يثير انتباههم ويعظم عليهم الحجة، ويفيد استحقاقه التسبيح والتنزيه.

والفاء في قوله: ﴿فَوَيْ﴾ تدل على التفریع، فالخلق مقدم على التسوية في الاعتبار، وإن كانت التسوية مقارنة لحصول الخلق (١٣٦).
ما يستفاد من الآية:

١. أن الله هو المتفرد بالخلق، فهو المستحق للعبادة والتسبيح.
٢. أن خلق الله مستوٍ متناسب معتدل. حسب حكمته جل وعلا.

﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾

﴿قَدَّرَ﴾: فعلٌ ماضٍ ثلاثي مزيد، مضَعَّف العين، ومصدره التقدير، وهذه قراءة الجمهور، وللتقدير معان، ومعنى التقدير هنا جعل الأشياء على مقادير مخصوصة (١٣٧)، أو بمعنى الموازنة بين الأشياء (١٣٨).

وإذا كان من القَدَر والقضاء أو من التقدير وهو تسوية الأشياء، فالمعنيان متلازمان (١٣٩)، لأن التقدير الذي قدره الله في الأزل يجري على قدره فهو موازن له ومساوٍ (١٤٠).
وقرأ الكسائي بتخفيف الدال (١٤١) على وزن فَعَلَ، وهو فعلٌ متعدٌ، ومصدره القَدَر والقَدَر (١٤٢)، ويشهد للتخفيف قوله تعالى: ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَدِيرُونَ﴾ [المرسلات: ٢٣] على قراءة

(١٣٥) قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٣١]

(١٣٦) ينظر التحرير والتنوير ٢٧٦/٣٠

(١٣٧) ينظر تهذيب اللغة للأزهري ٤١/٩، عناية القاضي ٣٤٩/٨

(١٣٨) ينظر المحرر الوجيز ٥٩٠/٨، البحر المحيط ٣١٩/٢١

(١٣٩) ينظر "إتحاف الفضلاء البشر- في القراءات الأربع عشر- ٧٧٢/١"، وينظر "الجامع لأحكام القرآن" للقرطبي ٢٢٤/٢٢

(١٤٠) ينظر "مجموع فتاوى ابن تيمية" ١٤٦/١٦

(١٤١) ينظر السبعة لابن مجاهد ص ٦٨٠.

(١٤٢) ينظر تاج العروس (ق د ر).

الجمهور (١٤٣)، ولو أراد اسم الفاعل من قَدَّرَ لقال: المقدِّرون، وهذه الآية قرأها الكسائي مع نافع بتشديد الفعل (١٤٤)، ومن التخفيف قراءة الجمهور في قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَمْرَاتُهُ قَدَرْنَا إِنَّمَا لِمَنِ الْغَنِيْبُ﴾ [الحجر: ٦٠] (١٤٥).

والتخفيف في قراءة الكسائي إما من التقدير والموازنة كالقراءة الأولى، أو من القُدرة (١٤٦) والملك فيكون المعنى مَلَكَ الأشياء (١٤٧).

ولكن قَدَّرَ من القدرة يتعدى بعلى، تقول: قَدَرْتُ على الشيء: تمكنت منه وقويت عليه (١٤٨)، فيكون حينئذ من حذف الجار والمجرور، ويفيد ذلك العموم، والله أعلم. ومن العلماء من يرى أن معنى القراءتين واحد وأنها لغتان (١٤٩).

والأولى - والله أعلم - أن يفرَّق بين الفعلين في القراءتين، وذلك بأن يقال: قَدَّرَ بالتشديد يقَدِّرُ تقديرًا بمعنى التزيين وتحسين الصورة، والله قد ذكر في الآية قبلها الخلق، فيكون المعنى خلق فسوَّى فأحسن التصوير، وتكون الآية كقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوْرَكُمْ﴾ [غافر: ٦٤].

وأما قَدَّرَ فهو من التقدير كما سبق، على معنیه، أو هو من القُدرة، فيكون هناك فرق بين القراءتين، والله أعلم.

﴿فَهْدًى﴾: يقال في العطف بالفاء ما قيل في الآية السابقة.

وهدى: فعل ثلاثي مجرد مقصور، أصل لامة ياء، قلبت لتحركها وانفتاح ما قبلها، وله معان، من أقربها هنا أن يكون بمعنى الإلهام (١٥٠)، والمعنى: أن الله بعد أن خلق كل شيء هداه

(١٤٣) ينظر السبعة لابن مجاهد، الحجة للفراسي ٦/ ٣٦٥، إعراب القراءات السبع وعللها لابن خالويه ٢/ ٤٦٦

(١٤٤) ينظر السبعة لابن مجاهد ص ٣٦٨.

(١٤٥) ينظر السبعة لابن مجاهد ص ٣٦٧.

(١٤٦) ينظر التهذيب للجشمي ١٠/ ٧٣٧٢، البحر المحيط ٢١/ ٣٢٠.

(١٤٧) ينظر التيسير في التفسير ١٥/ ٣٠٧، مفاتيح الغيب ٣١/ ١٤٠، الجامع للقرطبي ٢٢/ ٢٢٤

(١٤٨) ينظر المصباح المنبر للفيومي (ق د ر).

(١٤٩) ينظر الحجة للفراسي ٥/ ٤٨، التفسير البسيط ٢٣/ ٣٨١، التهذيب للجشمي ١٠/ ٧٣٧٢، "معالم

التنزيل" ٤/ ٥٩٨، الجامع لأحكام القرآن ٢٢/ ٢٢٢، التحرير والتنوير ١٤/ ٦٢، ٢٩/ ٤٣١

(١٥٠) ينظر البحر المحيط ١/ ٧٧

لما خلقه، فالآية عامة في كل تقدير وكل هداية، والمذكور عن السلف في تقدير أشياء خاصة هو من باب ضرب المثال (١٥١)، ويدل على عمومها قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢]، وذلك مثل بكاء الطفل والتقام ثدي أمه، وولادتها له، واتصال الذكر بالأنثى، وهدايات الإنسان إلى مصالحه من أغذيته وأدويته وأمور دنياه ودينه، وإلهامات البهائم والطيور وهوام الأرض إلى معاشها ومصلحتها، وهداية المخلوقات ورزقها وتحصيلها معيشتها كل ذلك من الهداية العامة (١٥٢)، ويمكن أن يعبر عن الهداية هنا بالفطرة، أو الهداية الكونية (١٥٣).

وتقدير الله شامل لجميع أجناس الأشياء وأنواعها ومقاديرها وصفاتها وأفعالها وآجالها وجميع أحوالها، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]، فتكون هذه الآية في سورة الأعلى كقوله تعالى عن موسى حين قال لفرعون: ﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ، ثُمَّ هَدَى﴾ [طه: ٥٠]، وهذه الهداية هداية عامة معناها أن الله هدى كل مخلوق إلى مصلحته (١٥٤).

والله قد هدى الإنسان إلى سبيل الخير والشر - والسعادة والشقاوة (١٥٥) كما قال تعالى: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ١٠] أي طريق الخير والشر على أقرب الأقوال في هذه الآية (١٥٦)، وهداه إلى جميع مصالحه، وهدى جميع المخلوقات إلى مصالحها ومعاشها (١٥٧)، وجميع

(١٥١) ينظر المحرر الوجيز ٨/ ٥٩١، البحر المحيط ٢١/ ٣٢٠

(١٥٢) ينظر الكشف والبيان ٢٩/ ٢٣٨، التهذيب للجشمي ١٠/ ٧٣٧٤، الكشف ٩/ ٥٥٢، الجامع في أحكام

القرآن للقرطبي ٢٢/ ٢٢٣، البحر المحيط ٢١/ ٣٢٠

(١٥٣) يرى ابن عاشور أن هذا العموم مخصوص بما فيه قابلية الهدى، أي بذوات الإدراك والإرادة، فلا يدخل

فيها تقدير الإثارة للشجر ونحو ذلك لأنها غير صالحة للاهتمام، التحرير ٣٠/ ٢٧٧

ولكن الهداية نوعان، كونية وشرعية، والمراد هنا الهداية الكونية، فهذه الأشجار مهدية بهذا الاعتبار،

وعبارة البيضاوي يفهم منها العموم، قال: (طبعًا)، أنوار التنزيل ٥/ ٣٠٥

(١٥٤) ينظر تيسير الكريم الرحمن (٤/ ١٩٥٩).

(١٥٥) ينظر التفسير البسيط ٢٣/ ٣٨١، تفسير السمعاني ٦/ ٢٠٨

(١٥٦) ينظر الكشف والبيان ٢٩/ ٢٣٨

(١٥٧) ينظر "السراج المنير" للخطيب الشربيني ٤/ ٣٨٠

المخلوقات خلقت لغاية مقصودة بها، فلا بد أن تهدي إلى تلك الغاية التي خلقت لها (١٥٨)، والعطف في هذه الآية وفي الآية التالية للتغاير في الصفات (١٥٩).

ما يستفاد من الآية:

١. وجوب إثبات القدر، فالله قدر المقادير قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة كما جاء ذلك في الحديث الصحيح (١٦٠)، وهذا المقصد مقصد عام من مقاصد القرآن الكريم، ونراه كثيرًا ما يتكرر في السور المكية، والإيمان بالقضاء والقدر له أثر قوي في تقوية جانب الاستعانة بالله والتوكل عليه لأن المرء إذا علم أنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن أوجب له الإيمان بالشرع والأوامر والنواهي والتسليم التام.
٢. إثبات قدرة الله عز وجل وعظمته ومُلكه.
٣. أن الهداية نوعان، هداية شرعية وهداية كونية.
٤. إثبات هداية الله عز وجل كل مخلوق إلى معاشه ومصالحه.

﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ﴾ (٤) ﴿فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ﴾

﴿أَخْرَجَ﴾: فعل ثلاثي مزيد بحرف الهمزة في أوله، ومصدره الإخراج، قال تعالى: ﴿وَنُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ [نوح: ١٨]، والخروج مصدر خَرَجَ المجزء اللازم، قال تعالى: ﴿فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ [غافر: ١١]، وهو البروز من المقر، فالهمزة في ﴿أَخْرَجَ﴾ للتعدية، فالإخراج هو الإبراز (١٦١).

﴿الْمَرْعَىٰ﴾: اسم مكان على وزن مَفْعَل، من رعى، ولامه ياء، قلبت لتحركها وانفتاح ما قبلها، ثم أطلق مجازًا على النبات المرعي الذي ينبت في المكان، أو هو مصدر ميمي (١٦٢) بمعنى اسم المفعول، فيكون بمعنى المرعي كالرزق بمعنى المرزوق.

(١٥٨) ينظر الطبري ٣١١/٢٤، الكشف والبيان ٢٣٨/٢٩، "مجموع فتاوى ابن تيمية" ١٦/ ١٣٠

(١٥٩) ينظر شرح عمدة الفقه لابن تيمية - كتاب الصلاة ص ١٥٧

(١٦٠) ينظر صحيح مسلم (٢٦٥٣) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

(١٦١) ينظر عمدة الحفاظ ١/ ٤٩٥

(١٦٢) ينظر التحرير والتنوير ٣٠/ ٢٧٨

وأصل الرَّعْي: الحفظ والمراقبة (١٦٣)، والمراد بالمرعى: النبات الذي ترعاه الأنعام (١٦٤)، ويطلق على ما يأكله الإنسان مجازاً (١٦٥).

لما ذكر الله أتمَّ النعم الباطنة وهي الهداية ذكر نعمة ظاهرة (١٦٦) من نعمه على الناس والحيوان بإخراجه النبات والعشب ليتفجع به الحيوان الذي يتفجع به البشر، وهذا بعد أن ينزل الله المطر من السماء، وهذه الآية والتي تليها كالتفصيل والتمثيل لما جاء في الآية السابقة فالمرعى خلق من خلق الله قدره الله فهداه لما قدره.

﴿فَجَعَلَهُ﴾: الفاء هنا تفيد التعقيب لقرب زمانه، وفي ذلك إشارة إلى قصر مدة الحياة الدنيا (١٦٧)، أو أن الفاء تفيد السببية أي بسبب خضرته (١٦٨).

و﴿جَعَلَ﴾: فعل ماضٍ مجرد متعدٍ ينصب مفعولين، ومصدره الجعل، ومعناه: الصنع (١٦٩).

﴿أَغْثَاءَ﴾: اسم جامد على وزن فُعَالٍ، وهمزته منقلبة عن واو، وهو من غثا يغثو، قلبت الواو همزة لتطرفها بعد ألف زائدة (١٧٠)، وجمعه المقيس أغثية وغثيان، وروى أغثاء (١٧١)، وهو

(١٦٣) ينظر مقاييس اللغة ٢/ ٤٠٨، التهذيب للجشمي ١٠/ ٧٣٧٣

(١٦٤) ينظر التفسير البسيط ٢٣/ ٣٨٢

(١٦٥) ينظر عناية القاضي ٨/ ٣١٧

(١٦٦) ينظر مفاتيح الغيب ٣١/ ١٤١، كشف الأسرار ٤/ ٥٤٦

(١٦٧) ينظر أساليب العطف في القرآن د مصطفى حميدة ص ١٣٦

(١٦٨) ينظر حاشية القونوي ٢٠/ ٢١٥

(١٦٩) ينظر الأفعال لابن القوطية ١/ ١٧٩، مقاييس اللغة ١/ ٤٦١

(١٧٠) قال ابن مالك في البيت ٩٤٣:

فَأَبْدَلِ الْهُمَزَةَ مِنْ وَاوٍ وَيَا أَحْرًا اثْرًا أَلِفٍ زَيْدَ

(١٧١) ينظر التفسير البسيط ١٥/ ٥٨٤، الدر المصون ٨/ ٣٤٤، وأوضح المسالك ص ٣٧٤ وص ٣٧٨.

ما يقذفه السيل من حشيش ونبات وفتات (١٧٢)، يقال: غثا الوادي: جاء بالغثاء (١٧٣). ويطلق الغثاء على المهشيم المتغير اليبس من النبات (١٧٤).

﴿أَحْوَى﴾: صفة مشبهة على وزن أفعل،، والفعل حَوَى يحْوِي بمعنى اسودَّ، والحَوَّةُ الخضرة أو السمرة التي تقرب من السواد (١٧٥)، وعلى هذا فتكون صفة للغثاء، وهو الظاهر (١٧٦)، لأن النبات إذا ييس صار أسود، فيكون صفة مؤكدة لـ ﴿غَثَاءً﴾ (١٧٧)، وهذه الصفة باعتبار الأكثر والأغلب، وللاكثر حكم الكل (١٧٨).

وذكر المفسر الصفدي اشتقاقاً غريباً فجعله من حَوَى يحوي فهو حاوٍ لكل لون وطعم ورائحة ومنفعة (١٧٩)، وهذا يخالف المذكور عن السلف، وأيضاً فيه إشكال، فعلى القول المشهور لام الكلمة في الأصل واو، فالحَوَّةُ لامها واو، فأحوى في الأصل أَحَوُّ، ولكن لكونها واقعة طرفاً رابعةً بعد فتح قلبت ياء على القاعدة (١٨٠)، ثم قلبت ياء لانفتاحها وتحرك ما قبلها. وأما ما ذكره الصفدي فهو حَوَى يحوي حَوَايَةً، وجَعَلَ أَحَوَى المزيد بمعنى حَوَى، وهذا لم أجده.

ويمكن أن تكون ﴿أَحْوَى﴾ حالاً من المرعى (١٨١)، ويكون المعنى أخرج المرعى شديداً الخضرة رياناً نَصْرًا (١٨٢)، فيرى كأنه أسود من شدة خضرته (١٨٣)، وهذا أيضاً أكثرى، فيأخذ

(١٧٢) البحر المحيط ٣١٦/٢١

(١٧٣) الأفعال لابن القوطية ٦٠٤/٢

(١٧٤) الطبري ٣١٣/٢٤، الجامع للقرطبي ٢٢٥/٢٢

(١٧٥) ينظر الطبري ٣١٣/٢٤، الكشف والبيان ٢٩/٢٤٠

(١٧٦) ينظر التفسير البسيط ٣٨٢/٢٣، البحر المحيط ٣٢٠/٢١

(١٧٧) ينظر عناية القاضي ٨/٣٥٠

(١٧٨) ينظر حاشية القونوي ٢٠/٢١٥

(١٧٩) ينظر كشف الأسرار ٤/٥٤٦

(١٨٠) قال ابن مالك في البيت ٩٥٨:

و(الواو) (لاماً) بعد فتح (يا) انقلبُ كالمعطيان يرضيان

(١٨١) ينظر معاني القرآن للفرأ ٩٧٢/٢، معاني القرآن للزجاج ٥/٢٤١، التفسير البسيط ٢٣/٣٨٣، ولم يذكر ابن عطية غير هذا الإعراب، وعليه فسر الآية ٨/٥٩٠.

(١٨٢) ينظر تفسير السمعي ٦/٢٠٨، الكشف للزنجشيري ٩/٥٥٣

حكم الكل (١٨٤)، فجعله بعد ذلك غشاء هشيماً، ويكون تأخير الحال لمراعاة الفاصلة، ولو كان على الترتيب لقليل: الذي أخرى المرعى أحوى فجعله غشاءً، وفي هذا الإعراب تكلف (١٨٥)، ولذلك لم يرتضه ابن جرير لما فيه من مخالفة لأقوال السلف (١٨٦).

وعلى الإعراب الأول يكون المعنى أنزل الله المطر من السماء وأخرج به المرعى واستكمل عمره الذي قدره الله له فجعله بعد ذلك هشيماً أسود.

وهذا الوصف لاستحضار تغير لونه بعد أن كان أخضر يانعاً دليلاً على تصرف الله تعالى بإنشاء الخلق وإزالته (١٨٧).

ما يستفاد من الآيتين:

١. إظهار قدرة الله عز وجل في إخراج المرعى ثم تصديره غشاءً أحوى، وهذا دليل من أدلة ربوبيته الدال على الوهيته.

٢. الإشارة إلى حقارة الدنيا وسرعة زوالها، وذلك بوصف المرعى بمصيره غشاءً أحوى بعد أن كان أخضر يانعاً، وهذا المعنى كثير في القرآن كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أُنْزِلَتْهُ مِنَ السَّمَاءِ فَأَخْلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ﴾ [يونس: ٢٤]، وقوله: ﴿وَأَصْرَبُ لَهُمْ مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أُنْزِلَتْهُ مِنَ السَّمَاءِ فَأَخْلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْنِدًا﴾ [الكهف: ٤٥]، وسيأتي أيضاً في آخر هذه السورة المقارنة بين الحياة الدنيا والآخرة، وهذا يدل على شدة الترابط بين أجزاء هذه السورة.

المقطع الثاني: نعمة الله على نبيه بإنزال القرآن، وبيان ما فيه من التيسير لليسرى، والأمر بالتذكير، وبيان من ينتفع به

(١٨٣) ينظر عناية القاضي ٨ / ٣٥٠

(١٨٤) ينظر حاشية القنوي ٢٠ / ٢١٦

(١٨٥) ينظر التسهيل لعلوم التنزيل ٤ / ٦٦٧

(١٨٦) ينظر الطبري ٢٤ / ٣١٣، البحر المحيط ٢١ / ٣٢٠

(١٨٧) ينظر "التحرير والتنوير" لابن عاشور ٣٠ / ٢٧٨

قال الله تعالى: ﴿سَنُقَرِّئُكَ فَلَا تَنْسَى ۚ (٦) إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى (٧) وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى (٨) فَذَكَرْ إِن نَّعَمَ الذِّكْرَى (٩) سِيدْرًا مِّنْ يَّخْتَى (١٠) وَنَجْنَبًا أَلْشَّيْ (١١) الَّذِي يَصِلُ النَّارَ الْكُبْرَى (١٢) ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى (١٣)﴾.

﴿سَنُقَرِّئُكَ فَلَا تَنْسَى ۚ (٦) إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى﴾

﴿سَنُقَرِّئُكَ﴾: نُقْرِئُ: فعل مضارع مهموز، على وزن نفعِلْ، وأصله نُؤْقِرِيٌّ، لأن ماضيه أقرأ، ثلاثي مزيد بهمزة في أوله، ولكن حذفت الهمزة في المضارع تخفيفاً، وهو حذف قياسي، والفعل قرأ متعد، وصيغة أفعل لها معانٍ كثيرة، أوصلها بعضهم إلى أربعة وعشرين معنى^(١٨٨)، والهمزة هنا تعديده إلى فعلين، والأصل أن تثبت في تصاريف الفعل، فتكون في المضارع، ولكن لما اجتمعت الهمزتان في ألف الفاعل، حُذفت همزة المضارعة تخفيفاً، فتقول: أُوْقِرِي، ثم ألحقت سائر أحرف المضارعة بالهمزة^(١٨٩).

وأصل مادة قرأ تدل على الجمع والضم، ومصدره القراءة، وسميت بذلك لاجتماع الكلمات والحروف^(١٩٠)، ومصدر نقريء الإقراء: وهو أن يأخذ المقرئ القراءة على القارئ بالاستماع له لتصحيح قراءته^(١٩١).

والسين هنا للاستقبال، أي كما أقرأ أنك فيما مضى سنقرؤك فيما يستقبل^(١٩٢).

﴿فَلَا تَنْسَى﴾: لا: حرف نفي، وتنسى: فعل مضارع معتل اللام، على وزن تَفْعَلْ، أصل لامة ياء، ومصدره النسيان، وهو أن يعزب الشيء عن النفس بعد أن كان حاضراً لها^(١٩٣).

﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء، ﴿مَا﴾: اسم موصول بمعنى الذي.

(١٨٨) ينظر البحر المحيط ٧٩/١.

(١٨٩) ينظر التكملة للفارسي ص ٥٢٤، شرح الرضي على الشافية ١/١٣٩.

(١٩٠) ينظر مقاييس اللغة (ق ر أ)، المفردات للراغب ص ٦٦٨.

(١٩١) ينظر التهذيب للجشمي ٧٣٧٣/١٠، ولعلماء القراءات تعريف خاص للمقرئ، ينظر منجد المقرئين لابن الجزري ص ٤٩.

(١٩٢) ينظر حاشية القنوني ٢١٦/٢٠.

(١٩٣) ينظر مقاييس اللغة (ن س ي).

﴿شَاءَ﴾: فعل ماضٍ، مهموز، وأصل عينه ياء، فهو من شيئاً ثم قلبت ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها، ومن مصادره الشَّيْءُ، وهو كل ما يصح أن يُعْلَمَ وأن يُخْبَرَ عنه، وهو مذكر (١٩٤)، وشاء قريب من معنى أراد.

﴿يَعْلَمُ﴾: فعل مضارع، ماضيه ثلاثي مجرد متعدي من باب فَعِلَ، ومصدره العلم، وهو معرفة الشيء على ما هو عليه (١٩٥)، وله تعريفات كثيرة، والخلاف في إمكان تعريفه من عدمه مشهور في كتب الأصول (١٩٦).

﴿أَجْهَرُ﴾: مصدر جَهَرَ يَجْهَرُ، وزنه الفَعْلُ، ومعناه الظاهر المكشوف (١٩٧)، والمراد بالمصدر هنا اسم المفعول، أي المجهور به، فيكون المعنى يعلم ما يُجْهَرُ به (١٩٨)، ويجوز أن يكون المصدر على أصله، فيكون المعنى يعلم كل جهر العالمين، ومنه جَهْرُ النبي ﷺ بالقراءة (١٩٩).

﴿مَا﴾: اسم موصول، و﴿يَخْفَى﴾: مضارع خَفِيَ، ثلاثي معتل الآخر، أصل لامه ياء، ومصدره الخفاء، ومعناه الاستتار، فخفي بمعنى استتر (٢٠٠).

ومناسبة هذا المقطع لما قبله أن الله لما أمر بتنزيهه وذكر جملة من صفاته وأفعاله الحسنة التي منها الهداية العامة لجميع المخلوقات أتبع ذلك بذكر هدايته الخاصة برسوله ﷺ وهي هدايته لتلقي الوحي ودعوة الناس أجمعين (٢٠١).

وهناك وجه آخر يمكن أن يقال في المناسبة بين الانتقال من ذكر الخلق إلى الحديث عن إقراء القرآن وهو أن الله لما ذكر حقارة الدنيا وسرعة زوالها وأنها متاع وغرور نقل الكلام إلى ما ينبغي أن يحرص عليه ويجتهد فيه في هذه الدنيا وهو قراءة القرآن وتعلمه والعمل به، وهذا القرآن هو من تيسير الله لنبيه اليسرى.

(١٩٤) ينظر البحر المحيط ٢٥٠ / ١

(١٩٥) ينظر عمدة الحفاظ ١١١ / ٣

(١٩٦) ينظر التحرير شرح التحرير للمرداوي ٢٢٦ / ١،

(١٩٧) ينظر عمدة الحفاظ ٣٥٢ / ١

(١٩٨) ينظر حاشية ابن التمجيد على البيضاوي ٢١٨ / ٢٠

(١٩٩) ينظر حاشية القونوي ٢١٩ / ٢٠

(٢٠٠) ينظر عمدة الحفاظ ٥١٨ / ١

(٢٠١) ينظر كشف الأسرار ٥٤٦ / ٤، "إرشاد العقل السليم" لأبي السعود ١٤٣ / ٩.

والمعنى أن الله يخاطب الرسول ﷺ بأنه سيُقرَّؤ القرآن على لسان جبريل (٢٠٢) ويحفظه إياه فلا ينسى منه شيئاً إلا ما شاء الله أن ينسيه إياه بحسب ما تقتضيه حكمته البالغة (٢٠٣)، وذلك بنسخ تلاوته وحكمه، ويدخل في ذلك أيضاً النسيان العارض للنبي ﷺ بحكم طبيعته البشرية، كما حصل له غير مرة، ومن ذلك قوله ﷺ: ((إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَنْسَى كَمَا تَنْسَوْنَ فَإِذَا نَسِيتُ فَذَكِّرُونِي)) (٢٠٤)، ثم الله يذكره بعد ذلك (٢٠٥)، وقيل: سنجعلك قارئاً بإلهامك القراءة (٢٠٦)، ولا هنا نافية كما سبق، وقيل: ناهية، وعليه فالفعل مجزوم (٢٠٧).

والقول الأول وهو أنها نافية هو الأصح، لعدة أمور، منها أنه قول أكثر المفسرين (٢٠٨)، وأنه بعيد عن التكلف، ولأن النسيان ليس باختيار الإنسان فكيف ينهى الله عنه؟ (٢٠٩)، ولأنه إذا كان استثناء من نهي فالغالب أنه مؤقت معلوم بخلافه هنا (٢١٠)، ولأن الزيادة خلاف الأصل (٢١١)، ولأن الألف ثابتة في جميع المصاحف، فلو كانت اللام ناهية لحذفت الألف (٢١٢)، وأيضاً لو كانت الألف مزيدة لأجل الفاصلة لحذفت في الوصل، ولم أجد ذلك مروياً عند أهل الأداء، ولا عند علماء الرسم، وليس كما شبَّهها الزمخشريُّ ومن تبعه بقوله تعالى:

(٢٠٢) ينظر الكشف والبيان ٢٩/ ٢٤٠

(٢٠٣) الكشف والبيان ٢٩/ ٢٤٠، التفسير البسيط ٢٣/ ٣٨٦

(٢٠٤) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٥٦/ ١) برقم (٣٩٢)، وأخرجه مسلم (٨٢/ ٢) برقم (١٣٠٢) من

حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢٠٥) التفسير البسيط ٢٣/ ٣٨٧

(٢٠٦) ينظر الوسيط للواحد ٤/ ٤٧٠

(٢٠٧) التهذيب للجشمي ١٠/ ٧٣٧٤، واختاره الزمخشري في الكشف ٩/ ٥٥٤، وابن عطية في المحرر الوجيز ٨/ ٥٩١

(٢٠٨) ينظر الطبري ٢٤/ ٣١٥، الكفاية في التفسير للحيري ٩/ ٣٨٤، البحر المحيط ٢١/ ٣٢٢

(٢٠٩) ينظر مفاتيح الغيب ٣١/ ١٤٢، كشف الأسرار ٤/ ٥٤٦، يمكن أن يقال: المراد به النهي عن الأسباب

المؤدية إلى النسيان وذلك بالإهمال والتشاغل، فيكون كقوله تعالى: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة

البقرة: ١٣٢]، أي كونوا ثابتين على الإسلام حتى يأتيكم الموت، ينظر البحر المحيط ٢١/ ٣٢١، فتوح الغيب

للطبيبي ١٦/ ٣٩٧.

(٢١٠) ينظر الجامع للقرطبي ٢٢/ ٢٢٨

(٢١١) ينظر غرائب القرآن وרגائب الفرقان ٦/ ٤٨٤

(٢١٢) ينظر التسهيل لابن جزي ٤/ ٦٦٨

﴿السَّيِّئَاتِ﴾ [الأحزاب: ٦٧]، فإن هذه ثابتة في قراءة بعض القراء، ومحدوفة في قراءة بعضهم (٢١٣)، ولو كانت الألف للإطلاق لما رسمت بالياء (٢١٤)، وقد تكلف بعضهم في الجواب عن هذين الأمرين (٢١٥).

وفي قوله: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾: التفات من التكلم إلى الغيبة، وفي ذلك تنشيط للنبي ﷺ وإظهار لعظمة صفة الألوهية لله سبحانه.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى﴾ تعليل لما سبق (٢١٦)، وعموم الآية يشمل علم الله بجميع ما يعمل به الخلق من أعمال جهرية أو سرية (٢١٧)، وعلمه بجميع ما هم فيه، من ذلك علمه بمصلحة جميع المخلوقات ومنها الإنسان، ومن ذلك علمه بجهر النبي ﷺ، ومخافته في القراءة، وعلمه بما يخفى عليه مما نسيه (٢١٨).

وفي الجهر والخفاء هنا محسن لفظي وهو الطباق.

ما يستفاد من الآيتين:

١. في الآية إشارة إلى أن الله تعهد بحفظ القرآن ولم يكل ذلك إلى البشر كما في الكتب السماوية الأخرى، فلا يمكن أن يَنْقُصَ منه شيء أو يضيع، ويعضد ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَنَحْفَظُونُ﴾ [الحجر: ٩].
٢. أن الهداية التامة الكاملة تكون بالقرآن الكريم.
٣. أن حفظ النبي ﷺ للقرآن مباشرة دون أن ينساه - مع كونه أمياً - فضيلة له ودليل من دلائل نبوته؛ لأن حفظه لهذا الكتاب المطول من غير دراسة ولا تكرار خارق للعادة (٢١٩)،

(٢١٣) السبعة لابن مجاهد ص ٥١٩، النشر ٣١٣/٢

(٢١٤) روح المعاني ٢٨/٤٦٩.

(٢١٥) ينظر حاشية محي الدين شيخ زاده على البيضاوي ٨/٥٧٥، قيل: إن معنى النسيان هنا الترك، وفي هذه الآية نهي عن ترك العمل بما في القرآن إلا ما ينسخه الله فيترك العمل به، ينظر الطبري ٢٤/٣١٦.

(٢١٦) ينظر "إرشاد العقل السليم" لأبي السعود ٩/١٤٥

(٢١٧) ينظر التفسير البسيط ٢٣/٣٨٧

(٢١٨) ينظر الكشف والبيان ٢٩/٢٤٤، التفسير البسيط ٢٣/٣٨٧

(٢١٩) التفسير البسيط ٢٣/٣٨٥، التهذيب للجشمي ١٠/٧٣٧٦، كشف الأسرار ٤/٥٤٦، "مفاتيح الغيب" للرازي ١/١٣٣

- وروي أن سورة الأنعام نزلت جملة واحدة (٢٢٠)، فإن صح ذلك فيكون قد حفظ هذه السورة وهي من الطُول من غير كلفة (٢٢١).
٤. في الآية إخبار بأمر غيبي، فإن هذه السورة من أوائل ما نزل بمكة، وهذا إخبار بأمر مستقبل، وقد وقع، فإن الله قد أقرأه، ولم ينس الرسول ﷺ منه شيئاً (٢٢٢)، بمعنى لم ينقص منه شيئاً ولم يضيّع منه شيئاً.
٥. أن الله تعالى عالم بالسرائر والخفايا، فلا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، ويعلم الجهر وما هو أخفى منه، ففي ذلك تحذير من أن يطّلع الله على العبد وهو يعمل عملاً لم يأذن به الله (٢٢٣).
٦. استدل بعض الفقهاء بهذه الآية على مشروعية كتابة الأشياء المهمة وتوثيق الديون والقضايا والحقوق، لأن الإنسان معرض للنسيان، فالقاضي مثلاً يعجز أن يحفظ كل حادثة لكثرة اشتغاله، ويحصل المقصود بالكتابة، وليس في وسعه أن يتحرز عن النسيان (٢٢٤).

﴿وَيَسِّرْكَ لِلْيُسْرَى﴾

- ﴿وَيَسِّرْكَ﴾: نيسر: فعل مضارع، ماضيه ثلاثي مزيد مضعّف، ومصدره التيسير، وهو التخفيف والتسهيل، ومجرده يسر يسراً ويسارة بمعنى خفّ (٢٢٥)، والتضعيف في يسر للتعدية.
- ﴿لِلْيُسْرَى﴾: اسم تفضيل، وزنه الفُعْلَى، وهو مؤنث، ومذكره الأيسر، وقراءة الجمهور بإسكان السين، وقرأ أبو جعفر بضمها (٢٢٦)، ووزنها الفُعْلَى، واليسرى: اسم لكل خير (٢٢٧).

- (٢٢٠) ورد في ذلك أحاديث مرفوعة وآثار موقوفة ومقطوعة، في أسانيدھا مقال، انظر الدر المنثور ٣/ ٢٤٣، والإتقان في علوم القرآن ١/ ٢٤٦، وتحفة الأبرار بكت الأذكار ص ٧٢ جميعها للسيوطي.
- (٢٢١) التبيان في تفسير القرآن للغساني خ، لوح ٢٩٧/ أ.
- (٢٢٢) مفاتيح الغيب ٣١/ ١٤٢، "تفسير البيضاوي" ٥/ ٣٠٥
- (٢٢٣) ينظر الطبري ٢٤/ ١٦
- (٢٢٤) ينظر المبسوط للسرخسي ١٦/ ٩٢
- (٢٢٥) ينظر الأفعال لابن القوطية ١/ ٤٧٢، عمدة الحفاظ ٤/ ٣٥٥
- (٢٢٦) النشر في القراءات العشر ٥/ ١٦٠٦.
- (٢٢٧) ينظر عين المعاني للسجاوندي خ، لوح ٢٦٠/ ب.

والمعنى ونوفقك ونُعِدُّكَ ونجعلك متهيأً للطريقة اليسرى من عمل الخير وجميع الأمور (٢٢٨)، وسميت باليسرى لأنها مؤدية إلى الراحة (٢٢٩)، ومؤدية إلى الجنة (٢٣٠)، وفي هذه الوصف ما يفيد أن الموصوف مؤنث، وفي الكلمتين جناس اشتقائي، فكلاهما من مادة (ي س ر).

وجاءت هذه الآية بعد الإخبار بأنه لا ينسى الوحي لأن هذا من التيسير اليسرى (٢٣١).

والنون في كلمة: ﴿وَنُيِّرُكَ﴾ لإفادة التعظيم، وللدلالة على أن عظمة المعطي تدل على عظم العطاء (٢٣٢)، ولعل في ذلك إشارة إلى أن هذا الدين إذا كان يسيراً فإن الله هو الذي جعله كذلك رحمة منه وفضلاً ومِنَّةً، وإلا لو شاء لجعل فيه الآصار والأغلال كما جعله على الأمم السابقة، فإن الله عظيم وقادر لا يعجزه شيء، وفي الفعل المضارع ما يفيد التجدد والحدوث، فتيسير الله عز وجل متجدد، وفيه التفات من الغيبة إلى الخطاب.

والشائع أن يعلق التيسير بالأمور المستخرجة للفاعل نحو قوله تعالى: ﴿وَيُزِيلُ أَمْرِي﴾ [طه: ٢٦]، ولكن عُلِّقَ التيسير هنا بالنبي ﷺ ليؤذن بقوة تمكينه من اليسرى والتصرف فيها كأنها ملكة راسخة له جبل عليها (٢٣٣).

ما يستفاد من الآية:

١. أن الله قد تكفل بأن ييسر للنبي ﷺ جميع أموره، وأن ييسر له جميع أحكامه وشرعه وكل باب من أبواب الدين، وأن ييسر له تبليغ رسالته (٢٣٤)، وفي ذكر التيسير بعد ذكر تعليم القراءة ما بأن يجعل جميع ما يأمر به يسيراً كله (٢٣٥) كما قال ﷺ: ((بعثت بالحنيفية السمحة)) (٢٣٦)،

(٢٢٨) ينظر التفسير البسيط ٢٣/ ٣٨٧، تفسير البضاوي ٥/ ٣٠٥، عناية القاضي ٨/ ٣٥١

(٢٢٩) ينظر الطبري ٢٤/ ٣١٧، "حاشية محيي الدين شيخ زاده على البضاوي" ٨/ ٥٧٦

(٢٣٠) ينظر الكشف والبيان ٢٩/ ٢٤٣، التفسير البسيط ٢٣/ ٣٨٧

(٢٣١) ينظر كشف الأسرار ٤/ ٥٤٧

(٢٣٢) ينظر مفاتيح الغيب ٣١/ ١٤٤، روح البيان لإسماعيل حقي ١٠/ ٤٠٧

(٢٣٣) ينظر إرشاد العقل السليم ٩/ ١٤٥، روح البيان لإسماعيل حقي ١٠/ ٤٠٧

(٢٣٤) ينظر الكفاية في التفسير للحري ٩/ ٣٨٥

(٢٣٥) ينظر الكشف والبيان ٢٩/ ٢٤٤، التفسير البسيط ٢٣/ ٣٨٨

(٢٣٦) أخرجه أحمد في "المسند" (٣٦/ ٦٢٤) برقم (٢٢٢٩١) من حديث أبي أمامة ؓ، وصححه الألباني في

"السلسلة الصحيحة" برقم (٢٩٢٤)

- وما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما (٢٣٧)، وفي ذلك دليل على اشتغال الشريعة التي جاء بها على اليسر والسماحة، وليس فيها شيء من الأغلال والآصار التي كانت في الأمم السابقة، وهذا من كرامة هذه الأمة على الله، قال تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ﴾ [المائدة: ٦]، وقال: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨].
٢. الدلالة على عظمة الله عز وجل، وعظمة أفعاله وأوامره.
٣. البشارة للنبي ﷺ بدخوله الجنة، وذلك إذا فسرنا اليسر بالجنة (٢٣٨).

﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى﴾

- ﴿فَذَكِّرْ﴾: والفاء هنا تفيد التفریع، كأن ما بعدها نتيجة لما تقدم (٢٣٩)، وذَكَرَ: فعل أمر، وماضيه ثلاثي مزيد مضعف، ومصدره التذكير، قال تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿يَقُومُوا لَكُمْ كِبْرٌ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذَكِّرِي بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ [يونس: ٧١]، والتذكير: الوعظ والزجر عن المعاصي (٢٤٠)، وصيغة فعل تفيد المبالغة والتكثير.
- ﴿إِنْ﴾ حرف شرط (٢٤١)، ﴿نَفَعَتْ﴾: نفع: فعل ماضٍ، ثلاثي مجرد، ومصدره النَّفْعُ، وهو ضد الضَّرِّ، وهو ما يستعان به في الوصول إلى الخير (٢٤٢).
- ﴿الذِّكْرَى﴾: اسم مصدر، على وزن فَعْلٍ، وهو من تَذَكَّرَ، الثلاثي المزيد بحرفين، التاء وتضعيف عينه.

وفي الكلمتين جناس اشتقاقي، كلتاها من مادة (ذك ر).

ومعنى الآية: ذَكَرَ الناس بشرع الله وآياته ما دامت الذكرى مقبولة مسموعة سواء أكان بعضها أم كلها، والذكرى هنا تتناول التذكير وكذلك التذَكُّر، وهو الاستجابة لفعل المذكر وقبوله.

(٢٣٧) أخرجه البخاري (٢٤٩١/٦) برقم (٦٤٠٤)، ومسلم (١٨١٣/٤)، برقم (٢٣٢٧)، من حديث عائشة ؓ.

(٢٣٨) ينظر التيسير في التفسير ٣٠٩/١٥

(٢٣٩) التحرير والتنوير ٢٨٤/٣٠

(٢٤٠) ينظر المصباح المنير (ذك ر)، البحر المحيط ١٢/١٤٣

(٢٤١) ينظر الكفاية في التفسير للحري ٣٨٥/٩، "الدر المصون" للسمين الحلبي ١٠/٧٦٣

(٢٤٢) ينظر عمدة الحفاظ ٤/٢٠٧

لما ذكر الله تيسيره للنبي ﷺ جميع أموره أتبع ذلك بأمره أن يذكر الناس بحسب تيسير الله له بما أوحى إليه (٢٤٣)، فإن الله لما كملّه بتيسيره ليسرى أمره بأمر آخر يجعله فوق الكمال (٢٤٤)، وثمرة الإقراء أن ينتفع به في ذاته وأن ينفع غيره (٢٤٥)، كأنه يقول: من شكر نعمة الله عليك في تيسيرك ليسر ذكر غيرك (٢٤٦)، وفي سورة ق خص التذكير بالقرآن: ﴿ذَكَرَ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدَ﴾ [ق: ٤٥].

وفيه من ﴿إن﴾ الشرطية أنه لا ينبغي التذكير إن كانت الذكرى تزيد الشر أو تنقص من الخير، أو إذا كان الشخص المذكّر لن ينتفع بهذه الذكرى (٢٤٧)، ولذلك أمر الله بالإعراض عمن تولى (٢٤٨)، وكذلك إذا كان الوقت غير مناسب للتذكير، وهذا من تقديم درء المفسد على جلب المصالح.

وقيل: بل التذكير مطلق سواء نفعت الذكرى أم لم تنفع (٢٤٩)، ويكون هناك شيء محذوف تقديره: وإن لم تنفع كما قال تعالى: ﴿سَرَّيْلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ﴾ [النحل: ٨١] أي والبرد (٢٥٠)، لأنه بعث إلى الناس كافة، والله عالم بأن التذكير ينفع في بعض الأوقات، وذلك في تذكير الذي يتعظ ويتذكر، وكذلك عالم بالذي لا ينتفع بالتذكير وهو المستكبر (٢٥١).

ويمكن الجمع بين القولين بأن التذكير نوعان، تذكير عام يجب في أول الأمر، فهذا لإقامة الحجة سواء آتفع المذكّر أم لم ينتفع، وتذكير خاص يكون عند رجاء حصول المقصود (٢٥٢).

(٢٤٣) ينظر مفاتيح الغيب ٣١/١٤٤، وينظر "إرشاد العقل السليم" ٩/١٤٥.

(٢٤٤) ينظر "مفاتيح الغيب" للرازي ٣١/١٣٥.

(٢٤٥) ينظر البحر المحيط ٢١/٣٢٣.

(٢٤٦) ينظر كشف الأسرار ٤/٥٤٧.

(٢٤٧) ينظر "تيسير الكريم الرحمن" لابن سعدي ٤/١٩٦٠، وأشار إليه ابن كثير في تفسيره ٨/٣٨٠.

(٢٤٨) ينظر "تفسير البيضاوي" ٥/٣٠٦، والأمر بالإعراض عمن تولى جاء في قوله تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ

ذِكْرِنَا وَلَوْ يُرِيدُ إِلَّا الْآلِهَةَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [النجم: ٢٩]

(٢٤٩) ينظر التفسير البسيط ٢٣/٣٨٨.

(٢٥٠) ينظر الوسيط ٤/٤٧٠، معالم التنزيل ٤/٥٩٩، "الدر المصون" للسمين الحلبي ١٠/٧٦٣.

(٢٥١) ينظر التفسير البسيط ٢٣/٣٨٩.

(٢٥٢) مستفاد من تفسير السمعاني ٦/٢١٠، و"مفاتيح الغيب" للرازي ١/١٣٥ مع التصرف والزيادة عليه.

ويظهر لي هنا معنى قد يكون فيه شيء من الصحة، وهو أن هذا التذكير عام لجميع الناس سواء الذين يخشون أو الذين شقوا، فأما أهل الشقاوة فواجب أن يُذكَرُوا مع أنهم في علم الله الأزلي لن ينتفعوا بالذكرى، وهذا لا يمكن أن يدركه النبي ﷺ إلا بالوحي؛ لأنه أمر غيبي، ويدل على ذلك أن بعض المشركين في عهد النبي ﷺ حكم القرآن عليهم بالكفر وأنهم يموتون عليه كما هو حال أبي لب، فيُقطعُ بأنه لن يسلم ومع ذلك فهو داخل في أمة الدعوة التي أمر النبي ﷺ بدعوتهم، ويدل على ذلك أن الله نبّه بعد ذلك على الحالين، المتفعين وغير المتفعين (٢٥٣).

ويمكن أن يكون المقصود تكرار التذكير إن رأى أن الذكرى نافعة استمر، وإن لم يرها نافعة لم يستمر (٢٥٤).

وقيل: ﴿إِنْ﴾: مصدرية ظرفية بمعنى ما، فيكون المعنى: فذكر ما دامت الذكرى نافعة، وهو معنى قريب من معنى الشرط (٢٥٥).

وقيل: ﴿إِنْ﴾: بمعنى قد، نقل الكسائي عن العرب أنهم يقولون: إن قام زيد بمعنى قد قام (٢٥٦)، وقيل: إن هنا بمعنى ما (النافية)، ويكون المعنى: ما تنفع الذكرى إلا من يتذكر بالعظة ويخاف (٢٥٧)، ولكن هذا فيه ضعف، فإن المستثنى لم يُذكر هنا، وكذلك فالله عز وجل لم ينفع نفع الذكرى على وجه الإطلاق، وهو القائل: ﴿وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ نَفْعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥].

وبين الكلمتين ﴿ذَكَرْ﴾ و﴿الذِّكْرَى﴾ جناس اشتقائي، فكلاهما من مادة (ذك ر).
ما يستفاد من الآية:

١. مشروعية الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتذكير الناس، ووعظهم وإرشادهم.
٢. في هذا الشرط تطيب ل خاطر النبي ﷺ الذي يريد أن يقوم بأعماله على أحسن وجه، ويريد هداية جميع الناس وإدخالهم في دين الله، الهداية بيد الله وإنما على الرسول البلاغ.

(٢٥٣) ينظر الوسيط ٤ / ٤٧٠

(٢٥٤) ينظر تنزيه القرآن عن المطاعن للقاضي عبد الجبار ص ٤٠١، وكشف الأسرار ٤ / ٥٤٧

(٢٥٥) النكت والعيون ٦ / ٢٥٤، مجموع الفتاوى ١٦ / ١٥٤

(٢٥٦) ينظر ياقوتة الصراط لغلام ثعلب ص ٥٣٢.

(٢٥٧) ينظر الكفاية في التفسير ٩ / ٣٨٦

٣. فيها توجيه باستعمال الأدب في نشر العلم، فلا يوضع عند غير أهله (٢٥٨).

﴿سَيَذْكُرُنَّ يَحْشَى﴾

﴿سَيَذْكُرُنَّ﴾: السين للتنفيس، أي تخليص المضارع للاستقبال، يَذْكُرُ: فعل مضارع، ثلاثي مزيد بحرفين، تاء الافتعال المدغمة في الذال بعد إسكانها، فهو في الأصل: يَتَذَكَّرُ على وزن يَتَفَعَّلُ، أسكنت التاء ثم أدغمت في الذال، فصار على وزن يَفَعَّلُ، أو أن التاء أبدلت ذالاً ثم أدغمت في الذال، ووزن يَتَفَعَّلُ له معانٍ (٢٥٩)، والأقرب هنا أن يكون مطووعاً لفَعَّلَ (٢٦٠) الذي يفيد التكثير (٢٦١)، فالذي يخشى يتذكر إن ذُكِّرَ، ويمكن أن يكون بمعنى التكلف والتعاطي (٢٦٢).

﴿يَحْشَى﴾: فعل مضارع ثلاثي مجرد، ماضيه خَشِيَ، ولامه ياء قلبت ألفاً، والخشية: الخوف الشديد، أو هو خوف مشوب بتعظيم، صادر عن علم (٢٦٣).

لما أمر الله بالتذكير، ناسب أن يذكر أحوال الناس عند تذكيرهم حتى يعلم النبي ﷺ وغيره من الدعاة أن أمر الهداية بيد الله وأنها عليه البلاغ، فلا يقلق إذا لم يُستجب لأمره.

وبدأ بالمتفيعين بالذكرى وهم أهل الخشية فقال: ﴿سَيَذْكُرُنَّ يَحْشَى﴾ أي ستحصل الذكرى لمن يخشى، ولم يذكر المفعول هنا، وإنما أُطْلِقَ، ليتناول من خشي الله تعالى ومن خشي عذابه، قال الله تعالى: ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنََ الْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾ [ق: ٣٣] وقال: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ [البينة: ٨]، ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]، ويتناول من يخشى عذابه في الدنيا والآخرة ويخشى الساعة قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ مَنِ يَحْشَاهَا﴾ [النازعات: ٤٥]

(٢٥٨) ينظر تفسير ابن كثير ٣٨٠/٨

(٢٥٩) ينظر الممتع الكبير لابن عصفور ص ١٢٦، ارتشاف الضرب ١/١٧٢، البحر المحيط ١/٤٥١، كلاهما لأبي حيان (٢٦٠) المطاوعة: قبول المحل لأثر فعل الفاعل فيه، ينظر شرح الرضي على الشافية ١/١٠٨، التصريح بمضمون التوضيح ١/٤٦٥.

(٢٦١) ينظر شرح الرضي على الشافية ١/١٠٤.

(٢٦٢) ينظر شرح الملوكي لابن يعيش ص ٧٥، شرح الرضي على الشافية ١/١٠٥.

(٢٦٣) ينظر عمدة الحفاظ ١/٥٠٥

والمؤمنون هم الذين يتفعلون بالذكرى كما في قوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ يُنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥]، والتذكُّر: اسم جامع لكل ما أمر الله بتذكره (٢٦٤)، والتفيس في السين يفيد أن من خشى الله فسيذكر ولو بعد حين وبعد طول مدة (٢٦٥)، وكذلك العادة في المتذكر أنه يحتاج إلى زمان ينظر فيه ويتأمل (٢٦٦)، وقيل: إن السين للتأكيد، فالمعنى أن اتعاض من يخشى متأكداً (٢٦٧).

والعلم بمن يخشى أمر غيبي لا يمكن الاطلاع عليه إلا بوحى، غير أن هناك أمارات يمكن من خلالها معرفة أهل الخشية.

ويحتمل أن المراد بـ ﴿مَنْ يَخْشَى﴾: الذي في قلبه محل للخشية إذا ذكر، فالكافر قبل أن يسلم قد يكون يخاف الله ويخشاه ولكنه لم يعبد ولم يفرد بالعبادة فهذا إذا ذكر رجع إلى فطرته واستقام على أمر الله.

والتذكر يستلزم أن يعبد الله تعالى، ويدل على ذلك قوله عز وجل: ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ﴾ [غافر: ١٣]

أي يرجع إلى الله في توحيده ويقبل على طاعته ويرجع إليه في جميع أموره (٢٦٨)، وهذا من العبادة.

ما استفاد من الآية:

١. أن أهل التفكير والاعتبار هم الذين يخشون الله ويخافون عذابه، وهم أقرب الناس إلى الانتفاع بالتذكير.
٢. وجوب الخشية من الله تعالى والخوف من عقابه، وهذا مما يبعث على الإكثار من الصالحات والابتعاد عن المعاصي والمنكرات.

(٢٦٤) ينظر "مجموع فتاوى ابن تيمية" ١٨٨/١٦

(٢٦٥) ينظر مفاتيح الغيب ١٤٩/٣١

(٢٦٦) ينظر غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٤٨٦/٦

(٢٦٧) ينظر فهمها القنوي من عبارة البيضاوي ٢٢٣/٢٠

(٢٦٨) الطبري ٢٠/٢٩٣، تفسير البغوي ٧/١٤٣، مجموع الفتاوى ٧/٢٥

﴿وَيَجْنِبُهَا الْأَشْقَى﴾

﴿وَيَجْنِبُهَا﴾: يتجنب: فعل مضارع، على وزن يتفعل، ماضيه ثلاثي مزيد بحرفين، تاء الافتعال، وتضعيف العين، وسبق ذكر معاني هذه الصيغة، ومصدره التجنب، وهو بمعنى الابتعاد (٢٦٩).

﴿الْأَشْقَى﴾: اسم تفضيل، من شقي يشقى، ومن مصادره الشقاء والشقاوة، وهي سوء العيش ونكده، ضد السعادة (٢٧٠)، وهذه الصيغة تدل على مبالغة في الشقاء (٢٧١).

لما ذكر الله أهل الخشية وهم الصنف الأول الذي ينتفع بالذكرى أتبعه بذكر الصنف الثاني وهم الذين لا ينتفعون بالذكرى وهو من باب المقابلة، فقال: ﴿وَيَجْنِبُهَا الْأَشْقَى﴾ أي سيتجنب الذكرى ويتركها جانباً وتباعد عنها الأكثر شقاوة، كأنه بلغ في الشقاوة أقصاها، والمراد الكافر المعرض المصّر، فهو أشد شقاوة من الفاسق، أو المراد أشقى الكفرة الذي توغل في عداوة الرسول ﷺ (٢٧٢)، وأما الشقي من العصاة فتجنبه لها ليس كلياً، ويمكن ألا يكون التفضيل مراداً فيدخل فيه كل شقي بحسب درجات شقاوته (٢٧٣)، والفاسق كما في قوله تعالى: ﴿فَعِنُّهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ [هود: ١٠٥] يدخل في جملة السعداء بخلاف الكافر (٢٧٤).

والذي يتجنبه الأشقى هو التذكر، وكذلك يتجنب التذكير، أي أنه لم يستمع إلى الذكرى ولم يُصغِرِ إليها كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ﴾ [فصلت: ٢٦] (٢٧٥). ووصف الذين يتجنبون التذكر بأنهم أهل شقاوة يفهم منه أن المتذكرين هم أهل السعادة، وكذلك يفهم من الآية أن الذين يتجنبون التذكر هم القساء، وهذا من الاحتباك (٢٧٦)، وهو أن يحذف من الأول ما ثبت نظيره في الثاني، ويحذف من الثاني ما ثبت نظيره في الأول (٢٧٧).

(٢٦٩) ينظر عمدة الحفاظ ٣٤٦/١، تاج العروس (ج ن ب).

(٢٧٠) ينظر البحر المحيط ٣٣٤/١٢، عمدة الحفاظ ٢٨٢/٢

(٢٧١) ينظر الكفاية في التفسير ٣٨٦/٩

(٢٧٢) ينظر الكشف ٥٥٦/٩

(٢٧٣) ينظر التيسير في التفسير ٣١١/١٥، غرائب القرآن و رغائب الفرقان ٤٨٦/٦

(٢٧٤) ينظر غاية الأمان في تفسير الكلام الرباني ١٠٩٦/٧

(٢٧٥) مجموع الفتاوى ١٦٦/١٦

(٢٧٦) ينظر نظم الدرر ٣٩٩/٨

(٢٧٧) ينظر شرح عقود الجمان للسيوطي ص ١٣٣.

ما يستفاد من الآية:

١. التحذير من اتباع أهل الشقاوة وسلوك طريقهم.
٢. أن أهل الشقاوة هم أبعد الناس عن التفكير والاعتبار والانتفاع بالتذكير.
٣. أن قسوة القلب سبب من أسباب الشقاوة.

﴿الَّذِي يَصِلُ النَّارَ الْكُبْرَى﴾

﴿يَصِلُ﴾: فعل مضارع على وزن يفعل، ماضيه ثلاثي مجرد، ولامه ياء قلبت ألفاً، وهو فعل متعد، صِلِيَ يَصِلُ النار إذا قاسى حرها واحترق فيها، ومن مصادره الصَّلَى والصَّلِي (٢٧٨)، وهو وجدان حر النار (٢٧٩).

﴿النَّارَ﴾: اسم على وزن فَعَلٍ، وعينها واو قلبت ألفاً، والدليل عليه تصغيرها على نَويرة، وجمعها أَنْوَرٌ وَأَنْوَرٌ، وهي مؤنثة، والدليل هنا وصفها بالكبرى، وأما نيران فالياء منقلبة عن واو، والأصل: نَوْرَانٌ، قلبت ياء لسكونها وانكسار ما قبلها.

﴿الْكُبْرَى﴾: اسم تفضيل، وهو مؤنث الأكبر، وفعله كَبُرَ يَكْبُرُ، بمعنى عَظُمَ، ومصدره الْكُبْرُ، والكِبَرُ الاسم (٢٨٠).

لما ذكر الله أن الذي سيتجنب الذكرى ناسب أن يذكر صفة من صفاته التي تفيد جزاء فعله وإعراضه فقال: ﴿الَّذِي يَصِلُ النَّارَ الْكُبْرَى﴾ أي النار الكبيرة العظيمة الشديدة الحر (٢٨١)، والمراد هنا الاحتراق بالنار، وإطلاق الصِّلَى على الإحراق تهكُّم (٢٨٢).

وقد ذكر الله في سورة الليل أن الأشقى الذي كذب وتولى سيصلى النار الكبرى، قال تعالى:

﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿١٦﴾﴾ [الليل: ١٦]

والوصف بالكبرى يفهم منه أن هناك ناراً أصغر منها فقليل: الصغرى هي نار الدنيا، وقيل:

إن في النار دركات، فالكافر لما كان أشقى العصاة كانت له أعظم النيران (٢٨٣).

(٢٧٨) ينظر عمدة الحفاظ ٢/ ٣٥٢، تاج العروس (ص ل ي).

(٢٧٩) ينظر المصباح المنير للفيومي ١/ ٣٤٦ مادة (ص ل ا)

(٢٨٠) ينظر الأفعال لابن القوطية ١/ ٢٣١

(٢٨١) ينظر التفسير البسيط ٢٣/ ٣٩٠

(٢٨٢) ينظر "التحرير والتنوير" للطاهر بن عاشور ٢٣/ ٤٩.

ولا ينفع التذكير لمن لم يقدم لحياته في الدنيا فيعمل عملاً صالحاً، قال تعالى: ﴿وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَنْذِكُرُ الْإِنْسَانَ وَاتْنُو لَهُ الذِّكْرَ﴾ [الفجر: ٢٣]
ما يستفاد من الآية:

١. أن الله توعده أهل الشقاوة بالعذاب الأليم والنار الكبرى.
٢. أن النار دركات متفاوتة على حسب درجة العصيان.

﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾

﴿يَمُوتُ﴾: فعل مضارع على وزن يَفْعُلْ، أصلها يَمُوتُ، استثقلت الضمة على الواو فألقيت على الميم قبلها، والماضي مَوَتْ ثلاثي مجرد أجوف لازم، عينه واو، تحركت وانفتح ما قبلها فقلبت ألفاً، ومن مصادره الموت، وهو أن تزول القوة الحيوانية وتبين الروح عن الجسد (٢٨٤).

﴿يَحْيَى﴾: فعل مضارع على وزن يَفْعُلْ، ولا مة ياء قلبت ألفاً، وماضيه ثلاثي مجرد لازم على وزن فَعِلَ حَيَّيْ أو حَيَّيْ، من مصادره الحيَّ والحياة (٢٨٥)، وأصلها حَيَّيَّةٌ، على وزن فَعَلَّةٌ، وقلبت الياء ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها، والحياة ضد الموت، وهي في الأصل: الروح التي توجب تحرك من تقوم به (٢٨٦)، ولها تعريفات بعدة اعتبارات (٢٨٧).

ومعنى الآية أن الأشقي يعذب عذاباً شديداً فلا يموت ويرتاح، ولا يحيا فيسعد وينعم ويتنفع (٢٨٨)، وهذا كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ﴾ [فاطر: ٣٦].

وقيل: إن الآية على ظاهرها فتكون حاله بين الحياة والموت، لا هو من جملة الأحياء ولا من جملة الأموات.

(٢٨٣) ينظر "السراج المنير" للخطيب الشربيني ٣٨٢/٤

(٢٨٤) ينظر عمدة الحفاظ ١٢٣/٤

(٢٨٥) ينظر التنبيه والإيضاح عما وقع في الصحاح ٥٥/٦.

(٢٨٦) ينظر التوقيف على مهمات التعاريف ص ١٥٠

(٢٨٧) ينظر عمدة الحفاظ ٤٧٧/١

(٢٨٨) ينظر الطبري ١٨/٢٤، الكشف والبيان ٣٤٥/٢٩، الكفاية في التفسير ٣٨٦/٩، التفسير البسيط

٧٣٨٠/٢٣، التهذيب للجشمي ١٠/٧٣٨٠

﴿ثُمَّ﴾ للتفاوت ما بين المرتبتين، فهي هنا للترتيب مع التراخي، فإن هذه المرتبة أشد فظاعة من صليّ النار^(٢٨٩)، أي أن دخول النار وصلبها أهون من الخلود فيها متردداً بين الحياة والموت^(٢٩٠).

والمراد بالآية هنا أهل النار، فهم الذين لا يموتون فيها ولا يحيون، وأما أهلها الذين يخرجون منها فإنهم يموتون حتى إذا كانوا فحماً حتى يأذن الله بالشفاعة^(٢٩١). وفي الآية طباق بين الموت والحياة. ما يستفاد من الآية:

١. أن الحياة الأخروية مختلفة كثيراً عن الحياة الدنيا.
٢. أن هناك حالة تعرو الإنسان هي بين الحياة والموت.
٣. أن الموت منه ما يكون راحة.
٤. أنجزاء من جنس العمل، فإنه لم يحي في الدنيا حياة نافعة خلّق من أجلها، ولم يكن ميتاً عديم الإحساس، كان جزاؤه في الآخرة كذلك^(٢٩٢).

المقطع الثالث: فضل التزكي وذكر الله والصلاة، والحث على التقلل من الدنيا:

قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾^(١٤) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى^(١٥) بَلْ تُؤَثِّرُونَ الدُّنْيَا^(١٦) وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَنْبَقِ^(١٧) إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى^(١٨) صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى^(١٩).

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾

﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق، يفيد التوكيد وتقوية المعنى^(٢٩٣).

﴿أَفْلَحَ﴾: فعل ماض، ثلاثي مزيد بحرف الهمزة في أوله، ومجرده فَلَحَ، ومصدره المقيس الإفلاح، وأما الفلاح فهو إما مصدر فَلَحَ اللازم، أو هو اسم مصدر، وهو إما من الشق، أو من

(٢٨٩) ينظر الكشف ٥٥٦/٩.

(٢٩٠) ينظر حاشية الشهاب على البيضاوي ٣٥١/٨.

(٢٩١) ينظر "صحيح مسلم" (١/١٧٢) برقم (١٨٥).

(٢٩٢) مجموع الفتاوى ٢٩٧/١٤.

(٢٩٣) ينظر مغني اللبيب ٥٤٤/٢.

البقاء والفوز^(٢٩٤)، والفلاح: الفوز والظفر بإدراك البغية^(٢٩٥)، وليس في كلام العرب كله أجمع من لفظة الفلاح لخيري الدنيا والآخرة^(٢٩٦)، والذي يظهر أن الهمزة في أفلح بمعنى الصيرورة فيكون المعنى صُيِّرَ أمره إلى الفلاح^(٢٩٧)، ويمكن أن تكون بمعنى الاستحقاق^(٢٩٨)، أي استحقوا أن يكونوا مفلحين.

﴿تَزَكَّى﴾: فعل ماضٍ، على وزن تَفَعَّلَ، ثلاثي مزيد بحرفين، تاء الافتعال، وتضعيف العين، وسبق ذكر معاني هذه الصيغة، ومصدره التزكَّى، وصيغة التفعُّل تفيد المبالغة والتكلف في طلب الزكاء، هذا هو المعنى اللغوي العام للتزكي، والمراد هنا التكثُر من التقوى^(٢٩٩) بالتطهُّر من الكفر والمعاصي^(٣٠٠)، وقيل: غير ذلك كما سيأتي.

ومناسبة هذا المقطع لما قبله أن الله لما حث الله على التذكير وأخبر أن الذي ينتفع بالذكر هم أهل الخشية، وأن الذي يتجنبها هم أهل الشقاوة = أثار ذلك استشراف السامع لمعرفة أثر الخشية والشقاء، فلما ذكر أهل الشقاوة في قوله: ﴿الَّذِي يَصِلُ النَّارَ الْكُبْرَى﴾ أتبع ذلك بذكر أهل الخشية والتقوى فقال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾^(٣٠١)، وكان السامع لما مضى يتوقع أن يأتي الخبر بذكر المتذكر وفلاحه كأن يقول: قد أفلح المتذكر^(٣٠٢)، إلا أنه ذكر سماته لتعلم، وطوى ذكْر المتذكر اختصاراً، للعلم به.

وابتدأت هذه الآيات بذكر التزكي بجميع أنواعه، كتزكية النفس، وتزكية الأعمال، ومن أنواعه الإنفاق في سبيل الله، والإنفاق في سبيل الله من أكثر الأوامر تكراراً في القرآن الكريم، ويأتي بألفاظ وعبارات متنوعة كالزكاة والصدقة والإنفاق، ويأتي الحث عليه تارة بالترغيب

(٢٩٤) ينظر مقاييس اللغة ٤/ ٤٥٠

(٢٩٥) ينظر البحر المحيط ١/ ١٢٦،

(٢٩٦) ينظر تاج العروس ٧/ ٢٦

(٢٩٧) ينظر تاج العروس ٧/ ٢٦

(٢٩٨) ينظر الممتع لابن عصفور ص ١٢٧-١٢٨

(٢٩٩) ينظر معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٤٢

(٣٠٠) ينظر الطبري ٢٤/ ٣١٩، الكشف والبيان ٢٩/ ٣٤٦، تفسير البضاوي ٥/ ٣٠٦

(٣٠١) ينظر مفاتيح الغيب ٣١/ ١٤٧

(٣٠٢) ينظر روح المعاني ٢٨/ ٤٨٣

وبالترهيب تارة، ومرة بذكر محاسنه ومرة بذكر مساوئ تركه، وهذا يدل دلالة واضحة على عِظَم مكانته وفائدته للفرد والجماعة.

والمعنى تأكّد وتحقق الفوز والريح العظيم والنجاة (٣٠٣) لمن طَهَّر نفسه وخلصها من الشرك وسائر الأخلاق الذميمة.

وفي ذكره للفعل الماضي ما يفيد تحقق هذا الفلاح، وفيه دلالة على معاناة ومجاهدة وطلب للزكاء (٣٠٤)، كما أن العلم والحلم يكونان بطلبه ومجاهدة النفس، فإن كلمة ﴿تَزَكَّى﴾ تفيد المبالغة والتكلف في طلب الزكاء، لأن الفعل يفيد ذلك كما سبق، وهذه الآية يفسرها ما في أول سورة البقرة من ذكر صفات المفلحين، وأول سورة المؤمنين (٣٠٥).

والظاهر حمل ﴿تَزَكَّى﴾ على التزكي في الأعمال والإخلاص فيها كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ تَزَكَّى﴾ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ ﴿[فاطر: ١٨] (٣٠٦)، وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما (٣٠٧)، ووردت آثار كثيرة عن السلف في حمل هذه الآية على زكاة الفطر، أو الصدقات عمومًا، ولا شك أن الآية شاملة لجميع أنواع التزكي. ما يستفاد من الآية:

١. الحث على الزكاء والتطهر من الشرك وجميع الأعمال السيئة والأخلاق الذميمة.
٢. أن هذا التزكّي من أهم صفات المفلحين.
٣. أن نفس المتصدق تزكو، ويزكو ماله بالطهارة والزيادة (٣٠٨).
٤. استدل بعضهم بهذه الآية على أن المراد بها إخراج زكاة الفطر، وأنها تقدم قبل صلاة العيد (٣٠٩)، وهذا داخل في المعنى، وليس هو المعنى وحده (٣١٠).

(٣٠٣) ينظر الكفاية في التفسير ٣٨٦/٩

(٣٠٤) ينظر الطبري ٣١٩/٢٤، الكشف والبيان ٣٤٧/٢٩، التفسير البسيط ٣٩٢/٢٣

(٣٠٥) ينظر غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٤٨٦/٦

(٣٠٦) ينظر غاية الأمان في تفسير الكلام الرباني ١٠٩٩/٧

(٣٠٧) ينظر الطبري ٣١٩/٢٤

(٣٠٨) مجموع الفتاوى ٨/٢٥

(٣٠٩) روي عن ابن عمر وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما، ينظر الكشف والبيان ٣٤٨/٢٩، والطبري

٣٩٢/٢٣، ولم يسند إلى أبي سعيد الخدري، التفسير البسيط ٣٩٢/٢٣

(٣١٠) ينظر مجموع الفتاوى ٦٣٢/١٠، تيسير الكريم الرحمن ص ١٠٨٧

٥. استدل بعض السلف بهذه الآية على استحباب التصديق على السائلين إن أتوا قبل الصلاة، فيصدق الإنسان ثم يشرع في صلاته (٣١١)، لأن التزكي مذكور قبل الصلاة.

﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾

﴿وَذَكَرَ﴾: ذَكَرَ فعل ماضٍ ثلاثي مجرد متعدّد، ومصدره الذِّكْرُ، وسبق ذكره معناه في الآية ٩. ﴿فَصَلَّى﴾ (٢): صَلَّى فعل ماضٍ ثلاثي مزيد متعدّد، ولامه واو، وقياس مصدره: التصليّة، ولكن الصَّلَاة اسم يوضع موضع المصدر (٣١٢)، واختلف في اشتقاقها على أقوال، والمسألة مشهورة، وصيغة فَعَلْ هنا قائمة مقام الثلاثي.

ذكر الله هنا أمراً آخر من أسباب الفلاح وهو ذكر اسم الله تعالى، وأداء الصلاة المفروضة (٣١٣) والمستحبة، ويدخل في ذكره سبحانه أعظم أنواع الذكر وهو شهادة التوحيد قولاً بها وعملاً بمقتضاها، ويدخل في الذكر الدعاء (٣١٤).

أي وكذلك قد حصل الفوز والربح العظيم من ذكر اسم الله بقلبه ولسانه وأدى الصلاة (٣١٥) لربه الذي رباه ورزقه وأسبغ عليه النعم الكثيرة، والدعاء من جملة ما يدخل في الصلاة لغة، وهو أيضاً من أعمال الصلاة.

ما يستفاد من الآية:

١. الحث على ذكر الله وأنه من صفات المفلحين.
٢. حمل بعض السلف هذه الآية على أن المراد بها صلاة عيد الفطر، وهذا وإن كان داخلاً في المعنى إلا أنه ليس المعنى وحده (٣١٦).

(٣١١) روي عن ابن مسعود رضي الله عنه، ينظر الكشف والبيان ٢٩/٣٤٧، والطبري ٢٤/٣٢٠، ولم يسنده إلى ابن مسعود.

(٣١٢) ينظر مختار الصحاح (ص ل ا).

(٣١٣) ينظر تفسير السمعاني ٦/٢١٠.

(٣١٤) ينظر الطبري ٢٤/٣٢١، الكشف والبيان ٢٩/٤٥٣، التفسير البسيط ٢٣/٣٩١.

(٣١٥) ينظر التفسير البسيط ٢٣/٣٩١.

(٣١٦) ينظر تيسير الكريم الرحمن ص ١٠٨٧.

٣. استدلل بهذه الآية على وجوب تكبيرة الإحرام عند الدخول في الصلاة (٣١٧)، لأنه نيط الفلاح بذكر الله، وهذا يتفرع على تفسير التزكي بالزكاة المفروضة، لأن تكبيرة الإحرام مذكورة بين واجبين (٣١٨).

٤. واستدل بها من يقول بأن تكبيرة الإحرام شرط وليست من الأركان، لأن الفاء للتعقيب (٣١٩)، والأصل في العطف إفادة المغايرة، فعلم من ذلك أن التحريمه مغايرة للصلاة، وهي تعقبها ومتصلة بها (٣٢٠)، وكذلك لأن الاحتياط في العبادة واجب (٣٢١).

﴿لَنْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾

و﴿لَنْ﴾ حرف للإضراب الانتقالي، أي للانتقال من غرض إلى غرض آخر مع بقاء الحكم السابق دون إبطال (٣٢٢).

﴿تُؤْثِرُونَ﴾: تؤثر: مضارع على وزن تُفَعِّلُ، وماضيه ثلاثي مزيد بحرف الهمزة في أوله، والمصدر الإيثار، وهو التفضيل والاختيار والتقديم (٣٢٣)، وفيها قراءتان:

الأولى: بالتاء على الخطاب ﴿تُؤْثِرُونَ﴾، على الالتفات من الغيبة، والخطاب للكفار أو مطلق الناس، والمخاطبة بالذم أقوى في التقريع، فيكون فيه مواجهة بالذم (٣٢٤)، ويخرج من المخاطبة الأنبياء والصديقون (٣٢٥)، وقرأ بها جمهور القراء، ويجوز أن يكون الخطاب هنا على

(٣١٧) ينظر الاختيار لتعليل المختار ٤٨/١، والكشاف ٥٥٧/٩، مفاتيح الغيب ٣١/١٤٩

(٣١٨) ينظر روح المعاني ٢٨/٤٨١

(٣١٩) ينظر التيسير في التفسير ١٥/٣١٢

(٣٢٠) ينظر عمدة الرعاية بتحشية شرح الوقاية ٢/٢٥٢

(٣٢١) ينظر عناية القاضي ٨/٣٥١

(٣٢٢) ينظر مغني اللبيب ٢/١٨٤، شرح الدماميني على مغني اللبيب ١/٤١٤

(٣٢٣) ينظر عمدة الحفاظ ١/٥٩، تاج العروس (أث ر).

(٣٢٤) ينظر حاشية زاده ٨/٥٨٠

(٣٢٥) ينظر عناية القاضي ٨/٣٥٢

إضمار قل (٣٢٦)، أي قل لهم يا محمد ﴿كَلْ تُوْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾، وفي ذلك تحقير لشأنهم، كأنهم لا يستحقون أن يخاطبوا (٣٢٧)، وحينئذ لا التفات.

الثانية: بالياء على الغيبة ﴿يُؤْثِرُونَ﴾، ويكون الضمير راجعاً للأشقى لأن المراد جنس الأشقيين (٣٢٨)، وقرأ بها أبو عمرو البصري (٣٢٩)، وُضُرِفُوا عن المخاطبة تذليلاً لهم (٣٣٠).
﴿الْحَيَاةَ﴾: مصدرٌ للفعل المجرد حَيَّيَ أو حَيَّيَّ حَيَاةً^(٣٣١)، وأصلها حَيَّيَّةٌ، على وزن فَعَلَّة، وقلبت الياء ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها.

﴿الدُّنْيَا﴾: اسم مؤنث على وزن الفعل، ومذكره الأدنى، وهي صفة مشتقة، والفعل دنا يدنو، فأصل يائها واو، أي دُنُوْى، قلبت الواو فيها ياء للتخفيف، وذلك لثقل الواو والضممة وعلامة التأنيث في الصفة (٣٣٢).

لما كان ذكر الله والصلاة من أمور الآخرة أعقب ذلك بدم من أعرض عنها وآثر الحياة الدنيا (٣٣٣) فقال:

﴿كَلْ تُوْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۖ وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى وَأَبْقَى﴾ أي بل تفضلون الحياة الدنية ذات العيش المنغص الزائل وترضون بها وتطمثنون إليها وتقدمونها على الآخرة، والحال أن الآخرة خير منها في كل أنواع النعيم، ونعيمها خالص عن المنغصات باق وليس بفانٍ، والخطاب للناس عموماً، المؤمنين والكافرين، فالْمُؤْمِنُ يُوْثِرُهَا معصيةً منه، والكافر يُوْثِرُهَا كفرًا لجلده الآخرة (٣٣٤).

(٣٢٦) ينظر "تفسير البيضاوي" ٣٠٦/٥، حاشية القونوي ٢٢٦/٢٠

(٣٢٧) ينظر حاشية زاده ٥٨٠/٨

(٣٢٨) ينظر الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي ٣٧٠/٢، التفسير البسيط ٣٩٥/٢٣، معالم التنزيل ٦٠٠/٤

(٣٢٩) ينظر النشر في القراءات العشر ٤٠٠/٢، "إنحاف فضلاء البشر" ٧٧٢/١

(٣٣٠) ينظر عناية القاضي ٣٥٢/٨

(٣٣١) نص ابن بري على أن الحياة والحيوان والحي مصادر، التنبيه والإيضاح عما وقع في الصحاح ٥٥/٦

(٣٣٢) ينظر الممتع الكبير لابن عصفور ص ٣٤٦، التصريح بمضمون التوضيح ٧١٧/٢

(٣٣٣) ينظر تفسير الجلالين ص ٦٠٣، ولم يصرح فيه بذكر المناسبة.

(٣٣٤) ينظر المحرر الوجيز ٥٩٤/٨

وفي الإضراب هنا ذكر لسبب الإعراض عن الذكرى والتزكي والصلاة، والمعنى أنهم لا يفعلون ما ينجيهم لأنهم منهمكون لاهون في الحياة الدنيا (٣٣٥).
أو أن الإضراب هنا عن بيان حال الصنفين، المتذكرين والمتجنبن، وأن هذا البيان لا ينفع المعاندين (٣٣٦).

وجملة ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ حالية وصاحب الحال فاعل ﴿تُؤْتِرُونَ﴾.
وفي هذا تحذير من الاغترار بالحياة الدنيا وزخرفها وزينتها والركون إليها، وهو مقصد من المقاصد القرآنية، وقد ورد في الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والسلف من ذلك شيء كثير لا يدخل تحت الحصر، وما ذلك إلا لأن الدنيا ليست بدار مقرر ولا خلود، وإنما هي مزرعة للآخرة، فمن أحسن فيها قطف أحسن الثمر هناك، ومن اغتر بها وبزخارفها وزينتها خسر - خسراناً مبيئاً.

ما يستفاد من الآية:

١. التقليل من شأن الدنيا، وبيان دناءتها وعدم دوامها.
٢. تقرير أمر المعاد، لأن ذكر الحياة الدنيا يفهم منه أن هناك حياة أخرى.

﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾

﴿وَالْآخِرَةُ﴾: اسم مؤنث، ووزنه أَفْعَلَة، أصلها أَّاخِرَة، أبدلت الهمزة الثانية حرف مد مجانس لحركة ما قبلها، وهذا إبدال واجب (٣٣٧)، والمذكر الآخر، واستعمل هنا استعمال الاسم الجامد لدلالته على الدار الباقية.

﴿خَيْرٌ﴾: اسم تفضيل وزنه فَعْلٌ، محذوف الهمزة في أوله، وأصله أَخَيْرٌ، على وزن أفعِل (٣٣٨)، والفعل منه خار يَخِيرُ، والخير: اسم جامع لكل ما يرغب فيه كالعقل والفضل والعدل والنفع (٣٣٩).

(٣٣٥) ينظر حاشية القونوي ٢٠/٢٢٦

(٣٣٦) ينظر ينظر روح المعاني ٢٨/٤٨٣

(٣٣٧) ينظر أوضح المسالك لابن هشام ص ٤٢٠

(٣٣٨) ينظر شرح الكافية الشافية لابن مالك ٢/١١٢٧

(٣٣٩) ينظر عمدة الحفاظ ١/٥٤٥

﴿وَأَبْقَى﴾: اسم تفضيل، وزنه أفعِل، والفعل منه بَقِيَ يَبْقَى، والمصدر البقاء: الدوام وعدم الفناء (٣٤٠).

أخبر الله - عز وجل - بأن الدار الآخرة هي الحيوان، وأنها الحياة الباقية الدائمة التي لا انقطاع فيها، ثم أخبر بأن هذه الأمور مذكورة في كتب الأنبياء الأولين، وموافقة لما جاء به النبي ﷺ. والإتيان بالجملة الاسمية هنا يدل على ثبوت هذا الحكم واستقراره (٣٤١)، كأنه أمر ثابت مسلم به، فكيف مع ذلك تؤثرون الفانية على الباقية؟

وفي تنكير كلمة ﴿خَيْرٌ﴾ ما يدل على تعظيم الخيرية فيها (٣٤٢)، وإطلاق صيغة التفضيل هنا يفيد العموم، لأنه لم يقل الآخرة خير من كذا، فكل ما في الآخرة خير مما في الدنيا، وكل نعيم في الدنيا فما في الآخرة خير منه، وكذلك في قوله: ﴿وَأَبْقَى﴾ أي لا يزول ولا يحول بل نعيم دائم لا ينقطع، فهي باقية إلى ما لا نهاية، وهي تشمل على كمال الحياة الجسمانية والروحانية، والدنيا خالية من ذلك، ولذات الدنيا أيضًا مخلوطة بالمنغصات والمنكدرات والآلام بخلاف لذات الآخرة.

وفي الآيتين احتباك، فذكر الإيثار يقابله عدمه في الآخرة، وذكر الدون في هذه الحياة المؤثرة يقابله العلو في الدار الآخرة، وذكر البقاء في الدار الآخرة يقابله الزوال في الحياة الدنيا، وفي ذلك تنفير من إثارة الدنيا وترغيب في إثارة الآخرة العليا الباقية الأخير.

ما يستفاد من الآية:

١. الترغيب في الآخرة.
٢. شحذ الهمم وتسلية المؤمنين، والترغيب في المنافسة على الطاعة.

﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ ﴿١٨﴾ صُحُفٍ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى

﴿إِنَّ هَذَا لَفِي﴾: إن هنا تفيد التوكيد وكذلك اللام.

(٣٤٠) ينظر عمدة الحفاظ ١/ ٢١٨

(٣٤١) ينظر "بغية الإيضاح" لعبد المتعال الصعدي ١/ ١٣٩

(٣٤٢) قرر البلاغيون أن التعظيم من أغراض التنكير ينظر المرجع السابق ١/ ٧٧

﴿الصُّحُفِ﴾: اسم على وزن الفعل، وهو جمع صحيفة، وهي التي يكتب فيها (٣٤٣)، وفي قراءة الأعمش: ﴿الصُّحُفِ﴾ بسكون الحاء، وهي لغة (٣٤٤).

و(أل) فيها للعهد، فتكون ﴿صُفٍّ﴾ بدل كل من كل، وفي هذا تفخيم لها لأنه أجهلها أولاً ثم فسرهما (٣٤٥)، وإن كانت (أل) للجنس كانت بدل بعض من كل (٣٤٦).

﴿الأُولَى﴾: اسم تفضيل مؤنث على وزن الفعل، وأصل فائه واو، أبدلت همزة، ومذكره الأول، وهو نقيض الآخر، وهو المتقدم على غيره (٣٤٧)، وفي وزنه أقوال أربعة (٣٤٨).

لما ذكر فضل التزكية وأنها سبب للفلاح، وحث على ذكر الله وعلى الصلاة وحذر من الدنيا ورغب في الآخرة أتبع ذلك بذكر ما يحث على تلك الأعمال من الإشارة إلى أن هذه الأعمال جاءت في الكتب السابقة وعمل بها أقوام سابقون، فيكون في ذلك شحذاً للهمم وترغيباً للمنافسة على الطاعة.

والإشارة بقوله: ﴿إِنَّ هَذَا﴾ يعود إلى الآيات تبدأ بقوله تعالى ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّى﴾ إلى قوله ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾، فمضمون هذه الجمل الأربع موجود في الصحف الأولى (٣٤٩) المنزلة على النبيين الكريمين إبراهيم وموسى، والمقصود أن معنى هذا الكلام وارد في صحفها، وليس المراد هذه الألفاظ بعينها (٣٥٠)، وذلك لأن الإشارة أولى ما تكون إلى أقرب مذكور (٣٥١)، وقيل: المشار إليه ذكر الآخرة وأنها أبقي (٣٥٢)، ولكن هذه الجملة متصلة بما قبلها في المعنى، وقيل:

(٣٤٣) ينظر "مفردات ألفاظ القرآن" للراغب الأصفهاني ١/ ٥٦٨

(٣٤٤) ينظر البحر المحيط ٢١/ ٣٢٦

(٣٤٥) ينظر حاشية القونوي ٢٠/ ٢٢٨

(٣٤٦) ينظر حاشية ابن التمجيد ٢٠/ ٢٢٨

(٣٤٧) ينظر عمدة الحفاظ ١/ ١٣٨

(٣٤٨) ينظر المصباح المنير (أول)، تاج العروس (وأل).

(٣٤٩) ينظر التفسير البسيط ٢٣/ ٣٩٦

(٣٥٠) ينظر ابن قتيبة، التفسير البسيط ٢٣/ ٣٩٦، "الجامع لأحكام القرآن" ٢٢/ ٢٣٦

(٣٥١) اختاره الطبري ٢٤/ ٣٢٥، وابن عطية المحرر الوجيز ٨/ ٥٩٤، قال ابن كثير: هذا اختيار حسن قوي ٨/ ٣٨٣.

(٣٥٢) ينظر الطبري ٢٤/ ٣٢٣، الكشف والبيان ٢٩/ ٤٥٦

المشار إليه جميع ما في السورة من أوامر وأحكام، فكلها موجود في الصحف الأولى، وورد في ذلك بعض الآثار^(٣٥٣)، ولكن قوله تعالى: ﴿سُقِرْتُكَ فَلَا تَنسَى﴾ من أحوال النبي ﷺ الخاصة، وبعيد أن يذكر في الصحف الأولى، وكذلك يدل على أن المراد ليس جميع السورة ما جاء في وصف هذه الصحف، حيث ورد أنها مشتملة على مواعظ وعبر وأمثال كما في حديث أبي ذر رضي الله عنه، وفيه قال رسول الله ﷺ: ((أنزل على إبراهيم عشر - صحائف وأنزل على موسى قبل التوراة عشر صحائف وأنزل التوراة والإنجيل والزبور والقرآن)) قال أبو ذر: قلت: يا رسول الله ما كانت صحيفة إبراهيم؟ قال: ((كانت أمثالا كلها))... قلت يا رسول الله فما كان صحيفة موسى؟ قال: ((كانت عبرًا كلها))^(٣٥٤)، فإن صح هذا الحديث فإن الموعظة والعبرة تبدأ من قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾، وما قبل ذلك أوامر للنبي ﷺ وأمته، خصوصًا قوله تعالى: ﴿سُقِرْتُكَ فَلَا تَنسَى﴾ فإنه خطاب للنبي ﷺ وموافق لحاله التي كان عليها في بدايات الوحي فكيف يمكن أن نقول إن هذا كان في الصحف الأولى؟

والمراد بالأولية بالنسبة إلى القرآن، وإلا فقد أنزلت الصحف على الرسل قبل إبراهيم، وهذه الأولية كقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى﴾ [النجم: ٥٠]، وفي إبهامها ووصفها بالأولية ثم بيانها وتفسيرها تفخيم لشأنها^(٣٥٥).

وخص إبراهيم وموسى بالذكر هنا لأنها قاما بأصل الدين الذي هو الإقرار بالله وعبادته وحده لا شريك له ومخاصمة من كفر بالله^(٣٥٦)، وإبراهيم قد حاج الذي آتاه الله الملك^(٣٥٧)، وناظر المشركين^(٣٥٨) وغير ذلك مما ذكره الله عنه في كتابه، وهو أبو الأنبياء فكل الأنبياء الذين

(٣٥٣) ينظر الكشف والبيان ٢٩/٤٥٥، التفسير البسيط ٢٣/٣٩٦، تفسير ابن كثير ٨/٣٨٣، والدر المنثور للسيوطي ٨/٤٨٩

(٣٥٤) أخرجه ابن حبان في صحيحه بترتيب ابن بلبان (٧٦/٢) برقم (٣٦١)، قال ابن كثير في "إرشاد الفقيه إلى أدلة التنبيه" (٣٣٦/٢): "غريب جدًا ومن وجه آخر عن أبي ذر بإسناد لا بأس به"، وقال محقق "صحيح ابن حبان" شعيب الأرناؤوط: "إسناده ضعيف جدًا".

(٣٥٥) ينظر "روح المعاني" للألوسي ١١١/٣٠

(٣٥٦) ينظر "مجموع الفتاوى لابن تيمية" ١٦/٢٠٣

(٣٥٧) سورة البقرة الآية ٢٥٨.

(٣٥٨) سورة الأعمام الآية ٧٤-٨١، والأنبياء الآية ٥٢-٦٧، والصفافات ٨٥-٩٦.

من بعده هم من ذريته كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ [العنكبوت: ٢٧]، وقد ذكره الله في القرآن تسعاً وستين مرة (٣٥٩).

وموسى - عليه السلام - خاصم فرعون الذي جحد الربوبية والرسالة وقرر أمر الربوبية وصفات الكمال لله ونفي الشرك، ولما اتخذ قومه العجل أنكر عليهم وبين لهم صفات النقص التي تنافي الألوهية كما في سورة الأعراف وسورة طه (٣٦٠)، وقد ذكره الله في القرآن مئة وستاً وثلاثين مرة (٣٦١).

وذكرهما الله مقترنين في قوله: ﴿أَمْ لَمْ يُبْنَأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ [النجم: ٣٧]، ولما بعث الله النبي ﷺ بعثه إلى أهل الأرض وهم في الأصل صنفان، أميون وكتايبون، فالأميون ينتسبون إلى إبراهيم وهم من ذريته، وخزان بيته، وعلى بقايا شعائره، والكتايبون أصلهم كتاب موسى، وكلا الطائفتين بدلت وغيرت، فأقام النبي ﷺ ملة إبراهيم بعد اعوجاجها وجاء بالكتاب المهمين المصدق لما بين يديه المبين لما اختلف فيه وما حُرِّف وكنتم من الكتاب الأول (٣٦٢).

وصحف موسى قيل: هي التوراة (٣٦٣)، وقيل: هي صحائف عشر أنزلها الله على موسى قبل التوراة (٣٦٤)، ويدل على هذا ما جاء في حديث أبي ذر رضي الله عنه السابق.

ما يستفاد من الآية:

١. أن الكتب السماوية قد تتوافق فيما تأمر به من أخلاق أو عبادات أو معاملات، وهذا يدل على أنها كلها من عند الله، غير أن القرآن وحده هو الذي سلم من التحريف والتبديل.
٢. إذا كانت هذه الموعظة مذكورة في كتب الأنبياء السابقين كان ذلك أدعى لتأثيرها وأقوى (٣٦٥).

(٣٥٩) ينظر "المعجم المفهرس لألفاظ القرآن" ص ٢

(٣٦٠) سورة الأعراف ١٤٨-١٥٣، سورة طه ٨٥-٩٨.

(٣٦١) ينظر المرجع السابق ص ٧٧٦

(٣٦٢) مجموع الفتاوى ١٦/٢٠٣

(٣٦٣) رجحه السمعاني ٦/٢١١.

(٣٦٤) ينظر التفسير البسيط ٢٣/٣٩٧

٣. استُدل بهذه الآية على جواز قراءة القرآن بالفارسية^(٣٦٦)، والصحيح أن أبا حنيفة رجع إلى قول صاحبيه في اشتراط العربية، وعليه الفتوى^(٣٦٧).
٤. فضيلة النبيين الكريمين إبراهيم وموسى، حيث خصهما الله بالذكر.

(٣٦٥) ينظر التهذيب للجشمي ٧٣٨١ / ١٠

(٣٦٦) التأويلات لأبي منصور، التيسير في التفسير ٣١٤ / ١٥، وتفسير النسفي،

(٣٦٧) ينظر الإكليل على مدارك التنزيل ٥٤٩ / ٧

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، بعد هذه الرحلة المباركة مع هذه السورة العظيمة التي لا تزال تحتاج إلى مزيد من العناية والبحث، واستخراج المزيد من كنوزها وفوائدها، ومن نتائج هذا البحث:

١. أن التفسير التحليلي لسور القرآن وآياته من جملة مناهج تفسير القرآن ومن أهمها.
٢. أن سورة الأعلى لها فضائل كثيرة، عامة وخاصة.
٣. أن سورة الأعلى لها ثلاثة أسماء.
٤. أن سور القرآن وآياته مرتبطة ارتباطاً وثيقاً ببعضها، وعند التأمل تظهر المناسبة بينها، ويفتح الله على من يشاء من عباده لاستخراج المزيد.
٥. أنها مشتملة على أصول الإيمان والأخلاق والعبادات والأخبار.
٦. أن تقطيع السور إلى مقاطع معينة حسب موضوعاتها يفيد في تدبر السورة.
٧. أن ذكر فوائد كل جملة أو آية ولو كانت قصيرة منهج ظهرت فائدته.
٨. أن علوم اللغة العربية نحواً وصرفاً وبلاغة مهمة جداً في فهم معاني القرآن الكريم.
٩. أن القرآن معين لا ينضب، فما زال هناك حاجة إلى الكتابة في التفسير وتدبر سوره إلى آخر الدهر.
١٠. أن أفراد سورة بالتفسير يساعد على التدبر والتركيز على موضوعات السورة وعلاقتها بآيات القرآن الأخرى وسوره.

والحمد لله رب العالمين.

فهرس المصادر والمراجع

١. إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغني الدمياطي، تحقيق: أنس مهرة، دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ.
٢. الإتيقان في علوم القرآن، تأليف: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، الطبعة الأولى، ١٤٢٦ هـ.
٣. ارتشاف الضرب من لسان العرب، تأليف: محمد بن يوسف الغرناطي المعروف بأبي حيان، تحقيق: د. رجب عثمان محمد، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ.
٤. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، محمد بن محمد العمادي أبو السعود، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٥. إرشاد الفقيه إلى معرفة أدلة التنبيه، إسماعيل بن عمر بن كثير تحقيق: بهجة يوسف أبو الطيب، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ.
٦. إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٥ هـ.
٧. الإتيان في حل ألفاظ أبي شجاع، محمد الشربيني الخطيب، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات - دار الفكر، بيروت، ١٤١٥ هـ.
٨. البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود - علي محمد معوض، دار النشر: دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ.
٩. البرهان في تناسب سور القرآن، أحمد بن إبراهيم الزبيري، تحقيق: سعيد الفلاح، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الأولى، ١٤٢٨ هـ.
١٠. بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح، تأليف: عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب، القاهرة، طبعة ١٤٢٠ هـ.
١١. البيان في عدّ آي القرآن، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني، تحقيق: غانم قدوري الحمد، الناشر: مركز المخطوطات والتراث - الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ.
١٢. التفسير البسيط، تأليف: علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ.
١٣. تفسير البيضاوي المسمى "أنوار التنزيل وأسرار التأويل"، عبد الله بن عمر البيضاوي، تحقيق: محمد المرعشي، دار إحياء التراث، بيروت، الطبعة الأولى هـ.
١٤. تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٢٠ هـ.

١٥. تفسير القرآن العظيم، محمد بن عبد الله بن أبي زمنين، تحقيق: حسين بن عكاشة ومحمد الكنز، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.
١٦. تفسير القرآن، أبو المظفر منصور السمعاني، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس، دار الوطن، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
١٧. التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم
١٨. التناسب بين السور في المفتاح والخواتيم، تأليف: فاضل السامرائي، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ.
١٩. تناسق الدرر في تناسب السور (أسرار ترتيب القرآن)، جلال الدين السيوطي، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار الاعتصام، القاهرة، (ط. د)، (ت. د).
٢٠. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي، تحقيق: سعد بن فواز الصميلي، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
٢١. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تأليف: محمد بن جرير الطبري، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.
٢٢. الجامع لأحكام القرآن، تأليف: محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ.
٢٣. جنى القلب الهائم في مقاصد السور ومحاورها، تأليف: عدنان عبد القادر، دار حامل المسك، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٣٥هـ.
٢٤. حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي المسماة (عناية القاضي وكفاية الرازي)، تأليف: أحمد بن محمد بن عمر، شهاب الدين الخفاجي المصري، دار صادر، بيروت، مصورة من طبعة بولاق.
٢٥. حاشية محيي الدين شيخ زاده على تفسير البيضاوي، تحقيق: محمد عبد القادر شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.
٢٦. حسن المدد في معرفة فن العدد، تأليف: برهان الدين إبراهيم بن عمر الجعبري، تحقيق: بشير بن حسن الحميري، مجمع الملك فهد، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ.
٢٧. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، تأليف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥هـ.
٢٨. دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.
٢٩. الدر المنثور، تأليف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، الناشر: دار الفكر - بيروت، الطبعة الأولى.

٣٠. السراج المنير، تأليف: محمد بن أحمد الشربيني، دار النشر، دار الكتب العلمية، بيروت.
٣١. سنن ابن ماجه، تأليف: محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة دار أحياء الكتب العربية، مصر، (ط. د)، (ت. د).
٣٢. سنن أبي داود، تأليف: أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر
٣٣. سنن أبي داود، تأليف: سليمان بن الأشعث، تحقيق: محمد عوامة، مؤسسة الريان، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٥ هـ.
٣٤. سنن الترمذي، تأليف: محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت
٣٥. سنن النسائي: أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة الثانية، ١٤٠٦ هـ.
٣٦. سنن النسائي، تأليف: النسائي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤٢٠ هـ.
٣٧. شرح الكوكب المنير، تأليف: محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوح المعروف بابن النجار تحقيق: محمد الزحيلي ونزيه حماد، مكتبة العبيكان، الطبعة الثانية ١٤١٨ هـ.
٣٨. شرح الكوكب المنير، تأليف: محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوح المعروف بابن النجار، تحقيق: محمد الزحيلي ونزيه حماد، مكتبة العبيكان، الطبعة الثانية ١٤١٨ هـ.
٣٩. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤ هـ.
٤٠. صحيح ابن خزيمة، محمد بن إسحاق بن خزيمة أبو بكر السلمي، تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩٠ هـ.
٤١. صحيح ابن ماجه، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى.
٤٢. صحيح البخاري، تأليف: محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر
٤٣. صحيح النسائي، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى.
٤٤. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٤٥. عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، تأليف: أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ.
٤٦. عناية القاضي وكفاية الرازي، تأليف: شهاب الدين أحمد بن محمد الحفاجي، صورتها دار النوادر، دمشق، ١٤٣٤ هـ.

٤٧. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار الوفاء، المنصورة، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ.
٤٨. فضائل القرآن وما أنزل من القرآن بمكة وما أنزل بالمدينة، تأليف: محمد بن أيوب بن يحيى بن الضريس بن يسار الضريس البجلي، تحقيق: غزوة بدير، الناشر: دار الفكر، دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م
٤٩. الكشف عن حقائق التنزيل، تأليف: جار الله محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: ماهر أديب حبوش، دار اللباب، إسطنبول، الطبعة الأولى، ١٤٤٢هـ.
٥٠. الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تأليف: أحمد بن إبراهيم الثعلبي، أشرف على إخراج: د. صلاح باعشان، تحقيق: عدد من الباحثين، الناشر: دار التفسير، جدة - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م
٥١. لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفيقي، دار صادر، بيروت، الطبعة السادسة ١٤١٧هـ
٥٢. المسوط، تأليف: محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني، تحقيق: أبي الوفاء الأفعاني، نشر إدارة القرآن والعلوم الإسلامية، كراتشي
٥٣. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تأليف: علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٢هـ.
٥٤. مجموع فتاوى ابن تيمية، جمع: عبد الرحمن بن قاسم النجدي، طبع مجمع الملك فهد، ١٤١٥هـ
٥٥. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي - (ت ٥٤٦هـ)، تحقيق: الرحالة الفاروق وآخرين، طباعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بقطر، الدوحة، الطبعة الثانية، ١٤٢٨هـ.
٥٦. المستدرك على الصحيحين محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى
٥٧. المستقصى في علم التصريف، تأليف: د. عبد اللطيف محمد الخطيب، دار العروبة، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ، دار المعرفة، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.
٥٨. مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ
٥٩. مسند الإمام أحمد، تأليف: أحمد بن محمد بن حنبل، إشراف: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٩هـ.
٦٠. مشكاة المصابيح، تأليف: محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، تحقيق: تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ.

٦١. مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، تأليف: إبراهيم بن عمر البقاعي، تحقيق: عبد السميع محمد حسنين، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ.
٦٢. المصباح المنير، تأليف: أحمد بن محمد الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت.
٦٣. معالم التنزيل، تأليف أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الإصدار الثاني، الطبعة الثانية، ١٤٢٧ هـ.
٦٤. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، تأليف: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٢ هـ.
٦٥. مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، تأليف: محمد الخطيب الشربيني، دار الفكر، بيروت.
٦٦. المغني، تأليف: عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ.
٦٧. مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، تأليف: محمد بن عمر بن الحسين الرازي الشافعي المعروف بالفخر الرازي، دار النشر، دار إحياء التراث العربي.
٦٨. الموسوعة الفقهية، صادرة عن وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت، طباعة، دار السلاسل، الكويت، مطابع دار الصفوة - مصر.
٦٩. نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، تأليف: محمد بن أبي العباس الرملي، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٤ هـ.

Romanization of references

1. Ithāf Fuḍalā' al-bashar fī al-qirā'āt al-arba'ah 'ashar, Shihāb al-Dīn Aḥmad ibn Muḥammad ibn 'Abd al-Ghanī al-Dimyāṭī, edited by Anas Mahra, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Lebanon, first edition, 1419 AH.
2. Al-Itqān fī 'ulūm al-Qur'ān, ta'līf : Jalāl al-Dīn 'Abd al-Raḥmān al-Suyūṭī, King Fahd Complex for the Printing of the Holy Qur'an, first edition, 1426 AH.
3. Irtishāf alḍrab min Lisān al-'Arab, ta'līf : Muḥammad ibn Yūsuf al-Gharnāṭī al-ma'rūf bi-Abī Ḥayyān, edited by Dr. Rajab Uthman Muhammad, Al-Khanji Library, Cairo, first edition, 1418 AH.
4. Irshād al-'aql al-salīm ilā mazāyā al-Qur'ān al-Karīm, Muḥammad ibn Muḥammad al-'Imādī Abū al-Sa'ūd, Dar Ihya' al-Turath al-Arabi, Beirut.
5. Irshād al-Faqīh ilā ma'rifat adillat al-Tanbīh, Ismā'īl ibn 'Umar ibn Kathīr, edited by Bahjat Yusuf Abu al-Tayyib, Dar al-Risala, Beirut, first edition, 1416 AH.
6. Irwā' al-ghalīl fī takhrīj aḥādīth Manār al-Sabīl, ta'līf : Muḥammad Nāṣir al-Dīn al-Albānī, Islamic Office, Beirut, second edition, 1405 AH.
7. Al-Iqnā' fī ḥall alfāẓ Abī Shujā', Muḥammad al-Shirbīnī al-Khaṭīb, edited by the Office of Research and Studies - Dar al-Fikr, Beirut, 1415 AH.
8. Al-Baḥr al-muḥīṭ, Muḥammad ibn Yūsuf al-shahīr bi-Abī Ḥayyān al-Andalusī, edited by Adel Ahmad Abd al-Mawjud and Ali Muhammad Mu'awwad, published by Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Lebanon, Beirut, first edition, 1422 AH.
9. Al-Burhān fī tanāsub suwar al-Qur'ān, Aḥmad ibn Ibrāhīm al-Zubayrī, edited by Sa'id al-Falah, Dar Ibn al-Jawzi, Dammam, first edition, 1428 AH.
10. Bughyat al-ḍāḥ li-talkhīṣ al-Miftāḥ, ta'līf : 'Abd al-Muta'āl al-Ṣa'īdī, Maktabat al-Adab, Cairo, 1420 AH edition.
11. Al-Bayān fī 'add āy al-Qur'ān, 'Uthmān ibn Sa'īd ibn 'Uthmān ibn 'Umar Abū 'Amr al-Dānī, edited by Ghanem Qaduri al-Hamad, published by the Center for Manuscripts and Heritage - Kuwait, first edition, 1414 AH.
12. Al-tafsīr albasīṭ, ta'līf : 'Alī ibn Aḥmad ibn Muḥammad ibn 'Alī al-Wāḥidī, al-Nisābūrī, al-Shāfi'ī, Deanship of Scientific Research - Imam Muhammad ibn Saud Islamic University, first edition, 1430 AH.
13. Tafsīr al-Bayḍāwī al-musammā "Anwār al-tanzīl wa-asrār al-ta'wīl", 'Abd Allāh ibn 'Umar al-Bayḍāwī, edited by Muhammad al-Mar'ashli, Dar Ihya' al-Turath, Beirut, first edition, 1420 AH.
14. Tafsīr al-Qur'ān al-'Aẓīm, Ismā'īl ibn 'Umar ibn Kathīr al-Qurashī al-Dimashqī, edited by Sami ibn Muhammad Salamah, Dar Taiba for Publishing and Distribution, second edition, 1420 AH.
15. Tafsīr al-Qur'ān al-'Aẓīm, Muḥammad ibn 'Abd Allāh ibn Abī Zamanayn, edited by Hussein ibn Ukasha and Muhammad al-Kanz, Al-Farouk Modern Printing and Publishing, Cairo, first edition, 1423 AH.
16. Tafsīr al-Qur'ān, Abū al-Muẓaffar Maṣṣūr al-Sam'ānī, edited by Yasser ibn Ibrahim and Ghanim ibn Abbas, Dar al-Watan, first edition, 1418 AH.
17. Al-Tafsīr al-mawḍū'ī li-suwar al-Qur'ān al-Karīm

18. Al-Tanāsub bayna al-suwar fī al-muftataḥ wa-al-khawātīm, ta'līf : Fāḍil al-Sāmarrā'ī, Dar Ibn al-Jawzī, Dammam, first edition, 1432 AH.

19. Tnāsq al-Durar fī tanāsub al-suwar (Asrār tartīb al-Qur'ān), Jalāl al-Dīn al-Suyūṭī, edited by Abdul Qadir Ahmad Atta, Dar al-I'tisam, Cairo, (first edition), (second edition).

20. Taysīr al-Karīm al-Raḥmān fī tafsīr kalām al-Mannān, 'Abd al-Raḥmān al-Sa'dī, edited by Sa'd ibn Fawaz al-Sumail, Dar Ibn al-Jawzī, Dammam, first edition, 1422 AH.

21. Jāmi' al-Bayān 'an Ta'wīl āy al-Qur'ān, ta'līf : Muḥammad ibn Jarīr al-Ṭabarī, edited by Dr. Abdullah ibn Abdul-Muhsin al-Turki, Dar Hijr, Cairo, first edition, 1422 AH.

22. Al-Jāmi' li-aḥkām al-Qur'ān, ta'līf : Muḥammad ibn Aḥmad al-Qurṭubī, edited by Abdullah ibn Abdul-Muhsin al-Turki, Al-Risalah Foundation, Beirut, first edition, 1427 AH.

23. Janā al-qalb al-Hāyim fī Maqāsid al-suwar wa-maḥāwirihā, ta'līf : 'Adnān 'Abd al-Qādir, Dar Hamil al-Misk, Kuwait, first edition, 1435 AH. 24. Ḥāshiyat al-Shihāb 'alā tafsīr al-Bayḍāwī al-musammāh ('Ināyat al-Qāḍī wa-kifāyat al-Rāḍī), ta'līf : Aḥmad ibn Muḥammad ibn 'Umar, Shihāb al-Dīn al-Khafājī al-Miṣrī, Dar Sadir, Beirut, photocopied from the Bulaq edition.

25. Ḥāshiyat Muḥyī al-Dīn Shaykh Zādah 'alā tafsīr al-Bayḍāwī, taḥqīq : Muḥammad 'Abd al-Qādir Shāhīn, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut, first edition, 1419 AH.

26. Ḥasan al-Mudad fī ma'rifat Fann al-'adad, ta'līf : Burhān al-Dīn Ibrāhīm ibn 'Umar al-Ja'barī, edited by Bashir ibn Hasan al-Himyari, King Fahd Complex, first edition, 1431 AH.

27. Ḥilyat al-awliyā' wa-ṭabaqāt al-aṣfiyā', ta'līf : Abū Na'im Aḥmad ibn 'Abd Allāh al-Aṣbahānī, Dar al-Kitab al-Arabi, Beirut, fourth edition, 1405 AH.

28. Dār Tawq al-najāh (muṣawwarah 'an al-sultāniyah b'ḍāfḥ trqym Muḥammad Fu'ād 'Abd al-Bāqī), first edition, 1422 AH.

29. Al-Durr al-manthūr, ta'līf : 'Abd al-Raḥmān ibn Abī Bakr, Jalāl al-Dīn al-Suyūṭī, published by Dar al-Fikr, Beirut, first edition.

30. Al-Sarrāj al-munīr, ta'līf : Muḥammad ibn Aḥmad al-Shirbīnī, published by Dar al-Kutub al-Ilmiyya (The Scientific Books Publishing House, Beirut).

31. Sunan Ibn Mājah, ta'līf : Muḥammad ibn Yazīd al-Qazwīnī, edited by: Muhammad Fuad Abd al-Baqi, Dar Ihya' al-Kutub al-Arabiyya Press, Egypt, (first edition), (second edition).

32. Sunan Abī Dāwūd, ta'līf : Abī Dāwūd Sulaymān ibn al-Ash'ath al-Sijistānī, edited by: Muhammad Muhyi al-Din Abd al-Hamid, Dar al-Fikr

33. Sunan Abī Dāwūd, ta'līf : Sulaymān ibn al-Ash'ath, taḥqīq : Muḥammad 'Awwāmah, al-Rayyan Foundation, Beirut, second edition, 1425 AH.

34. Sunan al-Tirmidhī, ta'līf : Muḥammad ibn 'Īsā Abū 'Īsā al-Tirmidhī, edited by: Ahmad Muhammad Shakir and others, Dar Ihya' al-Turath al-Arabi, Beirut

35. Sunan al-nisā'ī : Aḥmad ibn Shu'ayb al-nisā'ī, edited by: Abd al-Fattah Abu Ghuddah, Office of Islamic Publications, Aleppo, second edition, 1406 AH.
36. Sunan al-nisā'ī, ta'līf : al-nisā'ī, Dar al-Ma'rifa, Beirut, fifth edition, 1420 AH.
37. Sharḥ al-Kawkab al-munīr, ta'līf : Muḥammad ibn Aḥmad ibn 'Abd al-'Azīz ibn 'Alī al-Futūḥī al-ma'rūf bi-Ibn al-Najjār. Edited by Muhammad al-Zuhayli and Nazih Hammad, al-Ubaikan Library, second edition, 1418 AH.
38. Sharḥ al-Kawkab al-munīr, ta'līf : Muḥammad ibn Aḥmad ibn 'Abd al-'Azīz ibn 'Alī al-Futūḥī al-ma'rūf bi-Ibn al-Najjār. Edited by Muhammad al-Zuhayli and Nazih Hammad, al-Ubaikan Library, second edition, 1418 AH.
39. Ṣaḥīḥ Ibn Ḥibbān bi-tartīb Ibn Balabān, Muḥammad ibn Ḥibbān ibn Aḥmad Abū Ḥātim al-Tamīmī al-Bustī, edited by Shu'ayb al-Arna'ut, al-Risala Foundation, Beirut, second edition, 1414 AH.
40. Ṣaḥīḥ Ibn Khuzaymah, Muḥammad ibn Ishāq ibn Khuzaymah Abū Bakr al-Sulamī, edited by Dr. Muhammad Mustafa al-A'zami, Islamic Office, Beirut, 1390 AH.
41. Ṣaḥīḥ Ibn Mājah, ta'līf : Muḥammad Nāṣir al-Dīn al-Albānī, Maktaba al-Ma'arif, Riyadh, first edition.
42. Ṣaḥīḥ al-Bukhārī, ta'līf : Muḥammad ibn Ismā'īl al-Bukhārī, edited by Muhammad Zuhair ibn Nasir al-Nasir.
43. Ṣaḥīḥ al-nisā'ī, ta'līf : Muḥammad Nāṣir al-Dīn al-Albānī, Maktaba al-Ma'arif, Riyadh, first edition.
44. Ṣaḥīḥ Muslim, Muslim ibn al-Ḥajjāj Abū al-Ḥusayn al-Qushayrī, edited by Muhammad Fu'ad Abd al-Baqi, Dar Ihya' al-Turath al-Arabi, Beirut.
45. 'Umdat al-ḥuffāz fī tafsīr Ashraf al-alfāz, t'lyf : Aḥmad ibn Yūsuf ibn 'Abd al-Dā'im al-ma'rūf bi-al-Samīn al-Ḥalabī, edited by Muhammad Basil Ayyun al-Sud, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, first edition, 1417 AH.
46. 'Ināyat al-Qāḍī wa-kifāyat al-Rāḍī, ta'līf : Shihāb al-Dīn Aḥmad ibn Muḥammad al-Khafājī, photocopied by Dar al-Nawadir, Damascus, 1434 AH.
47. Faṭḥ al-qadīr al-Jāmi' bayna Fannī al-riwāyah wa-al-dirāyah min 'ilm al-tafsīr, edited by Abd al-Rahman Umaira, Dar al-Wafa, Mansoura, second edition, 1418 AH.
48. Faḍā'il al-Qur'ān wa-mā anzala min al-Qur'ān bi-Makkah wa-mā anzala bi-al-Madīnah, ta'līf : Muḥammad ibn Ayyūb ibn Yaḥyā ibn al-drys ibn Yasār al-drys albjly, edited by Ghazwat Badir, publisher: Dar al-Fikr, Damascus, first edition, 1408 AH - 1987 AD.
49. Al-Kashshāf 'an ḥaqā'iq al-tanzīl, ta'līf : Jār Allāh Maḥmūd ibn 'Umar al-Zamakhsharī, edited by Maher Adeeb Haboush, Dar al-Lubab, Istanbul, first edition, 1442 AH.
50. Al-Kashf wa-al-bayān 'an tafsīr al-Qur'ān, ta'līf : Aḥmad ibn Ibrāhīm al-Tha'labī, edited by Dr. Salah Ba'athman, edited by a number of researchers, published by Dar Al-Tafsir, Jeddah, Kingdom of Saudi Arabia, first edition, 1436 AH - 2015 AD

51. Lisān al-'Arab, Muḥammad ibn Mukarram ibn manẓūr al-Afīqī, Dar Sadir, Beirut, sixth edition, 1417 AH.

52. Al-Mabsūṭ, ta'līf : Muḥammad ibn al-Ḥasan ibn frqd al-Shaybānī, edited by Abu Al-Wafa Al-Afghani, published by the Department of the Qur'an and Islamic Sciences, Karachi.

53. Majma' al-zawā'id wa-manba' al-Fawā'id, ta'līf : 'Alī ibn Abī Bakr alhthymy, Dar Al-Fikr, Beirut, 1412 AH.

54. Majmū' Fatāwā Ibn Taymīyah, jam' : 'Abd al-Raḥmān ibn Qāsim al-Najdī, printed by the King Fahd Complex, 1415 AH.

55. Al-Muḥarrir al-Wajīz fī tafsīr al-Kitāb al-'Azīz, Abī Muḥammad 'Abd al-Ḥaqq ibn Ghālib ibn 'Aṭīyah al-Andalusī (t 546h), edited by al-Rahhal al-Faruq and others, published by the Ministry of Endowments and Islamic Affairs in Qatar, Doha, second edition, 1428 AH.

56. Al-Mustadrak 'alā al-ṣaḥīḥayn Muḥammad ibn Allāh Abū Allāh al-Ḥākim al-Nīsābūrī, edited by Mustafa Abd al-Qadir Atta, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut, first edition.

57. Al-Mustaḥṣā fī 'ilm al-taṣrīf, ta'līf : D. 'Abd al-Laṭīf Muḥammad al-Khaṭīb, Dar al-Uruba, Kuwait, first edition, 1424 AH; Dar al-Ma'rifah, Kuwait, first edition, 1424 AH.

58. Musnad al-Imām Aḥmad ibn Ḥanbal, taḥqīq : Shu'ayb al-Arna'ūt wa-ākharūn, Al-Risalah Foundation, Beirut, second edition, 1420 AH

59. Musnad al-Imām Aḥmad, ta'līf : Aḥmad ibn Muḥammad ibn Ḥanbal, supervised by Shu'ayb al-Arna'ut, Al-Risalah Foundation, Beirut, second edition, 1429 AH

60. Mishkāṭ al-Maṣābīḥ, ta'līf : Muḥammad ibn 'Abd Allāh al-Khaṭīb al-Tabrīzī, edited by Muhammad Nasir al-Din al-Albani, Islamic Office, Beirut, third edition, 1405 AH

61. Maṣā'id al-nazar lil-ishraf 'alā Maqāṣid al-suwar, ta'līf : Ibrāhīm ibn 'Umar al-Biqā'i, edited by Abd al-Sami' Muhammad Hasanain, Maktaba al-Ma'arif, Riyadh, first edition, 1408 AH

62. Al-Miṣbāḥ al-munīr, ta'līf : Aḥmad ibn Muḥammad al-Fayyūmī, Al-Maktaba al-Ilmiyyah, Beirut.

63. Ma'ālim al-tanzīl, ta'līf Abī Muḥammad al-Ḥusayn ibn Mas'ūd al-Baghawī, edited by Muhammad Abdullah al-Nimr, Uthman Jumah Damiriyya, and Sulayman Muslim al-Harsh, Dar Taybah for Publishing and Distribution, second edition, second printing, 1427 AH.

64. Al-Mu'jam al-mufahras li-alfāz al-Qur'ān al-Karīm, ta'līf : Muḥammad Fu'ād 'Abd al-Bāqī, Dar al-Hadith, Cairo, 1422 AH.

65. Mughnī al-muḥtāj ilā ma'rifat ma'ānī alfāz al-Minhāj, ta'līf : Muḥammad al-Khaṭīb al-Shirbīnī, Dar al-Fikr, Beirut

66. Al-Mughnī, ta'līf : 'Abd Allāh ibn Aḥmad ibn Qudāmah al-Maqdisī, Dar al-Fikr, Beirut, first edition, 1405 AH.

67. Mafātīḥ al-ghayb (al-tafsīr al-kabīr), ta'līf : Muḥammad ibn 'Umar ibn al-Ḥusayn al-Rāzī al-Shāfi'ī al-ma'rūf bālfkhr al-Rāzī, published by Dar Ihya' al-Turath al-Arabi.

68. Al-Mawsū'ah al-fiqhīyah, ṣādirah 'an Wizārat al-Awqāf wa-al-Shu'ūn al-Islāmīyah, Kuwait, printed by Dar al-Salasil, Kuwait, Dar al-Safwa Printing Press, Egypt

69. Nihāyat al-muḥtāj ilā sharḥ al-Minhāj, ta'līf : Muḥammad ibn Abī al-'Abbās al-Ramlī, Dar al-Fikr, Beirut, 1404 AH.